سياسة المريدين . تأليف: الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني الحسني ت: (٤١١)
تحقيق: عبد الله إسماعيل هاشم الشريف. مراجعة الدكتور: المرتضى بن زيد المحطوري الحسني
الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م مكتبة مركز بدر للطباعة والنشر والتوزيع
www.almahatwary.org

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

المريد وصف يطلق على من ترك ما عليه عادة الناس من الغفلة واتباع الشهوة، والإخلاد إلى ما دعت إليه الأمنية.

فالإرادة بهذا المعنى نهوض القلب في طلب الحق سبحانه؛ ولهذا يقال: إنها لوعة تُهَوِّنُ كل روعة. ولا يبعد أخْذُ هذا المصطلح من قوله تعالى:﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ﴾ [الأنعام:٥٢]؛ فالمريد لله تعالى لا يفتر آناء الليل والنهار؛ فهو في الظاهر بنعت المجاهدات، وفي الباطن بوصف المكابدات؛ فارق الفراش، ولازم الانكماش، وتحمل المصاعب، وركب المتاعب، وعالج الأخلاق، ومارس المشاق، وعانق الأهوال، وفارق الأشكال. وبهذا ظهر أنَّ الكتابة في هذا المجال إنما تصلح من أمثال الإمام الكبير المؤيد بالله، وهل علَّمَ الناس مكارم الأخلاق إلا أهل بيت النبوة أئمة الهدى ومصابيح الدجى وقادة أهل التقى.

إنه من البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، ولله در الفرزدق حين قال في مدح الإمام زين العابدين:

مِن مَعشَرٍ حُبُّهُم دينٌ وَبُغضُهُم   كُفرٌ وَقُربُهُمُ مُنجىً وَمُعتَصَمُ

إِن عُدَّ أَهلُ التُقى كانوا أَئِمَّتَهُم أو قيل مَنْ خيرُ أهل الأرض قيل هُـمُ

فدونك كتابًا على نفس نهج البلاغة للكرَّار علي عليه السلام الذي شخَّص الدنيا في عبارات قصيرة حين قال في وصفها: "تَغُرُّ وَتَضُرُّ وَتَمُرُّ". والصحيفة السجادية التي تستنزل الدمع، وتغسل القلب.

ولكي نظفر ببركة أهل البيت، ونستطب بطبهم فقد رأيت لزامًا عليَّ أن تخرج هذه المخطوطة إلى النور، ولا سيما وقد شجعني الولد المبارك البحاثة: عبدالله الشريف على تحضيره، فساعدته على مراجعته وتدقيقه.

نرجو الله أن ينفعنا بما علمنا، وأن يجعل عملنا هذا خالصًا لوجهه الكريم.

ونسأله تعالى أن يهيئ لهذا التراث النفيس من يجود بنفسه ونفيسه لتراه الدنيا بعد طول سبات، ويقرأه الزمان بعد كثير سبات، فقد آن للظلم الذي لحق بآل البيت عليهم السلام وتراثهم أن ينقشع، والغيمة أن تزول.

وها نحن نقدمه هدية إلى والدنا ومولانا وسيدنا وإمامنا، سيد المرسلين، وحجة الله على الخلق أجمعين، إمام الأنبياء وكبير أهل الكساء محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم صلى الله عليه وآله وسلم في عيد ميلاده؛ برًا به وبأهل بيته سلام الله عليهم أجمعين، وخدمة لدينه وأمته. تقبله الله منا، آمين.

د. **المرتضى بن زيد المحطوري الحسني**

مركز بدر ١٢ ربيع أول ١٤٢٢هـ

سياسة المريدين . تأليف: الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني الحسني ت: (٤١١)
تحقيق: عبد الله إسماعيل هاشم الشريف. مراجعة الدكتور: المرتضى بن زيد المحطوري الحسني
الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م مكتبة مركز بدر للطباعة والنشر والتوزيع
www.almahatwary.org

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق:

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وسلم .

إذا مرض الإنسان سارع إلى طبيب يعالج بدنه من مرضه، فإذا أرشده الطبيب إلى علاجه حرص على تناوله كما وصفه له؛ ليستعيد صحته؛ فالأولى للإنسان العاقل أن يبحث عن طبيب يعالج روحه كما عالج بدنه، فللجسم طبيب وللروح طبيب ليتوازن الجسم والروح، فتتم سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة. وهذا الكتاب غذاء روحي يشفي المخدوع المغرور بهذه الدنيا الغدارة، ومن يقيم وزنًا لعزها وجاهها ومالها؛ وأحرى بالعقلاء ألا يأبهوا بها، ولا يغتروا بمظاهرها فهي زائلة فانية. فالكتاب يخوض في ذكر الموت، والتوبة كي لا يحصل اليأس لمن انغمس في الشهوات. فليعمل المريد به فهو علاج روحي لمن تأمله، لا سيما ومؤلفه إمام من كبار أئمة أهل البيت، وهم أصحاب هذا الشأن ولا وعظ إلا من متعظ. وقد ذكر فيه من حكايات الصالحين وأقوالهم ما يجلو القلب. قال الحسن النحوي: ذكر الصالحين جلاء القلوب القاسية.

وصف المخطوطات:حصلت على أربع نسخ كل نسختين متوافقتين:

الأولى: ضمن مجموع بمكتبة السيد العلامة حسين بن علي عبدالكريم شرف الدين، وهي بخط محمد بن أحمد بن صلاح عيشان. وتأريخ نسخها تأريخ نساخة المجموع ما بين ١٠٦٠ -١٠٦٣هـ وبها بعض الأخطاء ، ورِمزت لها ب (ش).

الثانية: نسخة من مكتبة السيد العلامة الحجة: محمد بن محمد بن إسماعيل المنصور، قال في النسخة المنقول منها ما لفظه: تم بحمد الله ومنه وفضله نسخ كتاب "سياسة المريدين رضي الله عن جامعه وأعاد من بركاته من خط السيد الإمام المتأله العلامة الواصل من الجيل بالجامع الكافي زمن الإمام المهدي لدين الله علي بن محمد عليه السلام.وقال رحمه الله ما لفظه: وقع الفراغ من نساخة هذا الكتاب على يد العبد الذليل المحتاج إلى غفران ربه الجليل أحمد الأمير[1] بن الناصر الحسني الجيلاني للسيد السند صاحب العلم والعمل والأدب والفضل أمير المسلمين صلاح الدين محمد بن مولانا أمير المؤمنين المهدي لدين الله رب العالمين علي بن محمد بن علي متعنا الله بطول بقائهما ونصر لواءهما وقهر أعداءهما بمحمد النبي وآله الأبرار وصحبه الأخيار صلوات الله عليهما وآبائهما الأكرمين". وهي بخط محمد بن قاسم بن سليمان الخباط الحميري الصعدي الزيدي، وكان الفراغ من نسخها شهر صفر سنة ١٠٧٣هـ وهي نادرة الأخطاء والسقط وقد رمزت لها بـ (ص).

الثالثة: نسخة مصورة بمكتبة السيد العلامة محمد بن عبدالعظيم الهادي نسخت بتأريخ ١١٩٠هـ، ولم يذكر الناسخ لها وفيها زيادات قد تصل إلى صفحة على ما في النسختين وهي كثيرة الأخطاء أيضًا ورمزت لها بـ (هـ).

---

(١) ذكر السيد المولى الحجة/ مجد الدين بن محمد المؤيدي حفظه الله أن الصحيح أحمد مير - بمعنى سيد، وإن كان الأكثر يقولون: أحمد بن الأمير. لوامع الأنوار ٤٢٤/١، والتحف شرح الزلف ٢٧١.

الرابعة: نسخة مصورة من مكتبة السيد الشهيد محمد بن محمد الكبسي، وهي ناقصة ورمزت لها بـ (ك) وجعلتها للاستئناس فقط، واعتمدتها عند وجود الزيادات التي توافق (هـ) فيها.

عملي في التحقيق:

١- قابلت المصفوفة على النسخ مشيرًا إلى موضع الخلاف بين النسخ إلا ما وضح أنه سبق قلم أو تصحيف أوما لم يغير المعنى .

٢- قمت بتقطيع النص حسب علامات الترقيم المتعارف عليها.

٣- خرجت الآيات المذكورة في النص والآحاديث النبوية والأقوال المأثورة.

٤- ترجمت للمؤلف والأعلام الواردة في الكتاب.

٥- وضعت العناوين المقترحة من مؤسسة الإمام زيد الثقافية.

كلمة لابد منها:

قال رسول الله ﷺ: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"، فأشكر كل من أسدى إليَّ معروفًا بإحضار نسخته، أو سعى في إحضار مصورة، أو ساعدني في المقابلة وأخص سيدي العلامة الدكتور/ المرتضى بن زيد المَحَطْوري الذي تكرم بالإشراف على الكتاب ومراجعته، ولولاه لفاتني الكثير.. ولا أدعي الكمال في عملي هذا، فهو محاولة عسى الله أن ينفع بها.

وإن تجد عيبًا فسد الخللا ... فجل من لا عيب فيه وعلا

عبدالله إسماعيل هاشم الشريف

مركز بدر ١٢ ربيع أول ١٤٢٢هـ

ترجمة المؤلف

نسبه: هو الإمام المؤيد بالله أبو الحسين أحمد بن الحسين بن هارون بن الحسين بن محمد بن هارون بن محمد بن القاسم بن الحسين بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

مولده ونشأته:ولد بآمل طبرستان شمال إيران سنة ٣٣٣هـ ونشأ بها في ظل أسرة علمية كريمة تقدس العلم، وتعشق مكارم الأخلاق، فوالده من أئمة العلم وفرسان الرواية، وأمه الشريفة أم الحسن بنت علي بن عبدالله العقيقي. وفي بيئةٍ بِجليِّ العلوم وغامضها معمورة، والتيارات الفكرية فيها كثيرة.

علمه: لقي جميع علماء عصره واقتبس منهم حتى لم يبق فن من العلوم إلا ضرب فيه بأوفر نصيب. فقد كان متقدمًا في أصول الفقه، وعلم الكلام، فقيهًا بارعًا عارفًا باللغة والنحو، متمكنًا من التصرف في منثورها ومنظومها، وكان يعرف العروض والقوافي ونقد الشعر، وقد شهد له جميع علماء عصره بالتقدم في العلم، فقد كان مناظرًا لا يُغلب مع كثرة المناظرات التي كانت تقام في مجلس الصاحب فقد كان يجلسه على يمينه والقاضي عبدالجبار على يساره. فقد ناظر يوما يهوديًا في مجلس الصاحب في النبوءات فأعجزه الإمام وأفحمه فقال الصاحب: أيها السيد، لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب. وكان الصاحب إذا غاب الإمام عن مجلسه أو سافر يتمنى أن يكون الإمام حاضرًا وهو يسأله عن المشكلات، وهو يبينها له بألفاظه الفصيحة وعباراته المليحة. وقد روي أنه لما توفي:

أقبل الناس يسألون الإمام أبا طالب، فقال له قائل: أين كان هذا العلم في حياة السيد أبي الحسين ؟ فقال: ما كان يحسن بي أن أتكلم والسيد أبو الحسين في الحياة مع علم السيد أبي طالب وغزارة فهمه.

مشائخه:

١- أخذ عن السيد أبي العباس أحمد بن إبراهيم الحسني – ت٣٥٣هـ – مذهب الزيدية، وقرأ عليه الكلام على طريقة البغدادية.

٢- أبو الحسين علي بن إسماعيل بن إدريس قرأ عليه فقه الزيدية والحنفية وروى عنه الحديث عن الناصر للحق ، ويروي جميع مؤلفات الناصر عنه.

٣- الشيخ المرشد أبو عبدالله الحسين بن علي البصري ت(٣٦٧).

٤- القاضي عبدالجبار بن أحمد، ت (٤١٦) أو (٤١٥).

٥- أبو أحمد بن أبي علان ، سمع عليه مختصر الكرخي.

٦- أبو عبدالله بن محمد بن عثمان النقاش، وهو يروي عن الناصر للحق، وهو من المشائخ الحفاظ، وقد أكثر الرواية عنه الإمامان عن الناصر للحق عليهم السلام، وكثر الاعتماد منهما عليه، وتحقق اختصاصه بأئمة آل محمد.

٧- الإمام يحيى الهادي بن الإمام المرتضى محمد بن الهادي عليهم السلام.

٨- الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن الحسيني المعروف بابن أخي طاهر، المتوفى سنة ٣٥٨هـ.

له أصحاب نجباء ذكرهم في الحدائق والشافي منهم :

١- الموفق بالله أبو عبدالله الحسين بن إسماعيل الجرجاني الحسني صاحب الاعتبار وسلوة العارفين. (ت بعد ٤٢٠ تقريبا).

٢- الإمام السيد أبو الحسين أحمد بن أبي هاشم محمد بن علي المعروف مانكديم القائم بلنجا بعده .

٣- الفقيه أبو القاسم بن تال وهو الذي جمع الإفادة والزيادات والكثير من علومه، واسمه الحسن، وقيل: الحسين بن أبي الحسن الهوسمي المعروف بالأستاذ .

٤- القاضي يوسف الخطيب فاضل ممن عاصر الإمام له شرح الزيادات .

دعوته: دعا إلى الله سنة ٣٨٠هـ و بايعه العلماء والفضلاء والسادة والفقهاء وكان ممن بايعه القاضي عبدالجبار على سعة علمه وعلو حاله، بل إنه قال عندما سئل عن الخوارج، فقال: نحن؛ لأنا بايعنا الإمام أبا الحسين وتخلفنا عن الجهاد بين يديه، وقد أورد جهاده في الشافي والحدائق.

ورعه وزهده: كان لا يتقوت ولا يُطعم عياله إلا من ماله، وكان يرد الهدايا والوصايا إلى بيت المال، وكان لا يستجيز حمل ملبوسه على دواب بيت المال.

عبادته: كان كثير العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، وكان إذا خلا بنفسه يتلو القرآن بصوت شجي حزين، وكان غزير الدمع كثير البكاء ، دائم الفكر يتأوه في أثنائه ، وكان يداوم على الصلاة بين العشائين، وكان يطعم في شهر رمضان كثيرا من المساكين.

تواضعه: كان كثير التواضع فقد كان يجالس الفقراء وأهل المسكنة، ويلبس الوسط من الثياب، ويرقع قميصه بيده، ويشتمل بإزار حتى يفرغ من رقعه، وكان يزور الصالحين ويكثر من ذكرهم، فقد ذُكر له رجل صالح في بعض قرى ديلمان، فمضى لزيارته في جماعة من أصحابه، فلقيه الرجل خارج موضعه، وكان لا فراش له إلا ما نسجه من أغصان الشجر، ولا يتوسد إلا آجرتين عملهما، فقال: ما لنا فراش ولا مكان تجلسون فيه، فقال عليه السلام: لو كان لك فراش أو حالة لما زرناك، فالملوك كثير، وأهل الحالات فلسنا نزورهم ولا نراهم أهلاً لذلك.

حلمه:وأما الحلم والصفح فقد كان من أحلم الناس عن مذنب، وأصفحهم عن مسيء، وهي شيمة تميز بها أهل البيت، ويظهر ذلك في عفوه عن رجل أراد قتله، فقد روي أنه دخل المتوضأ ليجدد الطهارة فرأى فيه رجلاً متغير اللون يرتعد فزعًا، فقال له: ما دهاك؟ فقال: أمرت بقتلك، قال: وما الذي وعدوك عليه؟ قال: بقرة، قال: ما لنا من بقرة، وأدخل يده في جيبه، وناوله خمسة دنانير، وقال: اشتر بها بقرة ولا تعد إلى مثل ذلك.

شجاعته: كان عليه السلام في شجاعته وثبات القلب بالمحل العالي، فإن في الحكاية أن شوزيل لما أسره عليه السلام اجتمع المسلمون عنده وسألوه أن يفرج عنه، فأخرج جوشنًا وقال: أحصوا المواضع التي أصابها المزراق من هذا الجوشن، فبلغ نيفًا وثلاثين موضعًا فقال: من يثبت في المعركة هذا الثبات كيف يفرج عنه.

عدله: إن لأئمة أهل البيت السعي الأكبر في تركيز العدالة الإجتماعية، وذلك واضح في أقوالهم وأفعالهم وسيرهم، ولنقف على موقفين من عدله عليه السلام: كان ولده أبو القاسم من الشجعان الفضلاء، فشكا إليه ضيق يده، واستأذنه في الانصراف فأطلق له ذلك فقال له أصحابه: إن أبا القاسم فارس فاره، ولا غنى عن مثله، فلو أطلقت له ما يكفيه فقال: إني أدر عليه نصيبه، ولايمكن الزيادة عليه، فإن الله أمر بالتسوية بين الأولاد والأجانب. وكذلك ساوى بين الأقوياء والضعفاء فلا فرق بين عزيز وذليل فهم عنده كما قال جده علي عليه السلام عندما قيل له نحن أعزة قوم، فقال: الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه. فقد روي أن الأمام المؤيد بالله كان جالسًا في بعض الأيام وعلي بن سرحان الملك على يساره، فجاء رجل بقّار فسلم على الإمام المؤيد بالله فرد عليه السلام، ثم قال: أيها الإمام لي دعوى على علي بن سرحان الملك،فقام علي بن سرحان من مجلسه بإزاء الإمام حتى قارن خصمه، فوقف بجنبه ،فادعى أنه غصبه بقرة،فسأله الإمام المؤيد عن صفة البقرة وقيمتها فوصف وبيّن، فأنكر علي بن سرحان ولم يكن له بينة فحلفه فقام المدعي، وقال: ما كان غرضي بهذه الدعوى إلا ليتحقق الناس أنا في زمن إمام هدى يساوى فيه بين الملك والبقار. ومن عدله وكثرة الخير في عصره تمنى الناس له البقاء ودعوا الله له بذلك.

شعره: له شعر رفيع ينافح به عن حق ، ويسهم في رفع معنويات المجاهدين، أو توجع من خذلان الناس له، وقد ذُكِرَ أن له ديوان، فمن شعره ما قاله رداً على ابن سُكَّرةَ العباسي الذي قال:

إن الخلافـةَ مُـذْ كَانـت ومـذ بـدأت مَعْقُـودَةٌ بفـتىً مـن آل عبـاسِ
إذا انقـضى عُمـرُ هَـذا قَـامَ ذَا خَلَفًـا مَالاحـتِ الشمسُ وامتدَّت على الناسِ
فقـل لمـن يرتجيهـا غيرهـم سـفهًا لو شِئتَ روّحْتَ كرب الظنِّ باليأس

فأجاب الإمام :

قـل لابـن سُـكَّرةَ يَانَغْـلَ عَبَـاسِ أضْحَتْ خَلافـتكم منكوسـة الـرأسِ
أمَّـا المطيـعُ[1] فـلا تُخْشَى بـوادِرُهُ يعـيشُ مَـا عَـاشَ في ذُلٍّ وإتعـاسِ
فالحمـدُ للهِ ربيِّ لاشـريكَ لـه خصَّ ابن داعي[2] بتاجِ العز في الناس

من شعره أيضًا :

تهـذبُ أخـلاقَ الرجـال حـوادثٌ كما أنَّ عـينَ السَّبكِ يُخْلِصُهُ السَّبكُ
ومـا أنـا بـالواني إذا الـدهر أمّـني وَمـن ذا مـن الأيـامِ ويحَـكَ يَنْفَـكُّ
بَلانـي حينًـا بعـد حـين بَلَوتُـهُ فلـم أُلْـفَ رِعديـدًا يُنَهْنِهُـهُ الـسَّهكُ
وحـنَّكني كيمـا يقـود أزمَّـتي فطحطحته حَنْكـا ومـا عقَّـني الحنْكُ
لِـيعلَم هَـذَا الـدَّهْرُ في كـلّ حالـةٍ بـأنَّي فـتى المـضمارِ أصـبح يَحْتَـكُّ
نمـانيَ آبـاءٌ كـرام أعـزَّةٌ مراتِبُهـا أنَّـى يُحـيط بهـا الـدَّركُ

---

(١) هو الخليفة العباسي: الفضل بن جعفر المقتدر، المتوفى سنة ٣٦٤.

(٢) هو الإمام المهدي لدين الله رب العالمين أبو عبدالله محمد بن الإمام الداعي المتوفى سنة٣٦٠هـ ، والمعاصر للمطيع.

فما مدرك بالله يبلغ شأوَهُم ... وإن يكُ سبَّاقًا فغايته التركُ
فلا برقهم يا صاحِ إن شِمْتَ خُلّب ... ولارِفدهُم ولسٌ ولاوعدُهُم إفكُ
هم زهت الأعرابُ في كل مشهد ... سَكون ولخمٌ ثم كِندَةُ أوعَكُّ

وله بعد خذلان أصحابه له وتركهم له :

فَرَرتُ من العُداةِ إلى العداة ... وكنتُ عددتُهم زُمَرَ الثّقاتِ
لقد خابت ظنوني عند قوم ... يرون محاسني من سيئاتي
يُهيجُونَ الغُواةَ عليَّ هَيْجا ... وهم شَرٌ لديَّ من الغُواةِ

ومما قيل فيه: قال **الصاحب بن عباد**: ليس تحت الفرقدين مثل الأخوين يعني السيد المؤيد بالله وأباطالب عليهما السلام. وقال **الحاكم الجشمي**: كان واحد دهره وفريد عصره وإمام زمانه وواحد أيامه عالما بالفقه والكلام فصيحا بليغا له كتب جمة، وروايات جمة ومعرفة بالحديث.

وقال **الإمام عبدالله بن حمزة**: لم ير في عصره مثله علما وفضلا وزهداً وعبادة وسخَاءً وورعًا، ما بقي علم من علوم الدنيا والدين ألا وقد ضرب فيه بأوفى نصيب وأحرز فيه أوفر حظ.وقال **حميد الشهيد**: كان عليه السلام من العلم بحرًا يقذف بالدرر، وجونًا يهطل بالدِّرر، لم يبق فن إلا وقد بلغ فيه الغاية وأدرك النهاية.

وفاته:توفي يوم الأحد يوم عرفة، ودفن يوم الأضحى ٤١١هـ، وصلى عليه الإمام مانكديم، مشهده بلنجا مشهور مزور، وفيه يقول القائل :

عرج على قبر بصعـ ... ـدة وابك مرموسًا بلنجا
واعلم بأنَّ المقتدي ... بهما سيبلغُ ما ترجى

مؤلفاته:

١- كتاب بين فيه إعجاز القرآن وغيره من المعجزات، طبع بتحقيق خليل الحاج باسم إثبات النبوة.

٢- النبوءات والآداب في علم الكلام.

٣- التبصرة في أصول الدين.

٤- النقض على ابن قبة الإمامي.

٥- البلغة في فقه الهادي ألفه للصاحب بن عباد.

٦- الزيادات في الفقه علق ذلك أصحابه عنه وله شروح وتعاليق.

٧- الإفادة في الفقه له شروح وتعاليق.

٨- التجريد في الفقه وشرحه، وهو شرح لفتاوى الإمامين الهادي والقاسم، يأتي بكلامهما ثم يبسط الأدلة عليه من الكتاب والسنة والإجماع والقياس وهو من أجلّ معتمدات أهل البيت في هذا الفن.

٩- التفريعات.

١٠- الهوسميات.

١١- الأمالي الصغرى، طبع بتحقيق الأستاذ/ عبدالسلام الوجيه.

١٢- الحاصر في فقه الناصر.

١٣- رسالة جواب قابوس في الطعن على الصحابة.

١٤- سياسة المريدين وهو هذا الذي بين يديك.

مصادر الترجمة:

١- سيرة الإمام المؤيد بالله (للإمام المرشد بالله يحيى ابن الحسين الشجري) مخطوط، نسخة مصورة بمكتبة المصطفى والآل بمركز بدر.

٢- الشافي للإمام عبدالله بن حمزة ج ٣٢٩/١.

٣- أخبار الأئمة الزيدية في طبرستان ص ٢٦١، ص ١٢٣، ص ٣٥٣ نقلاً عن (الحدائق الوردية، وروضة الحجوري، وتحفة الأبرار المنتزع من جلاء الأبصار).

٤- التحف شرح الزلف ص٢١١.

٥- لوامع الأنوار .

٦- اللآلئ المضيئة للشرفي. (خ).

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة المؤلف]

الحمد لله الذي وهب لنا(١) إلى سلوك مذاهب الأبرار سبلاً لائحة، ونصب لنا إلى لزوم مدارج الأخيار أدلةً واضحةً، وجعل من تَبَتَّلَ إليه ووقف هَمَّهُ عليه مُشَاهِدًا لدواعي الحق التي ذهب عنها أكثرُ الخلق، فاستنقذهم من أسر الْحَيرَةِ، وعصمهم من بوادر الفتنة، وملّكَهُم أزمَّة قلوبهم، ووقاهم شُح نفوسهم، وآنسهم برياض تنزيله، وفَهَّمَهُم غوامض تأويله، وجعل لهممهم مطالع في ملكوته، ولضمائرهم مراتع في عظمته وجبروته، حتى عزفت نفوسهم عن كثير مما لهج به الخلق من الشهوات، وثبتت أقدامهم حيث دَحَضَتْ أقدامُ كثير من أهل الخطيئات،﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم:٢٧].

والحمد لله الذي جعل التوبة للمذنبين الـمُسرفين على أنفسهم وسيلةً ينالون بها متى أخلصوها(٢) كل فضيلة، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن

(١) في (ص): جعل لنا.

(٢) في (ص): متى أخلصوا.

قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٥].

وبلغنا أن الله تعالى أوحى إلى نبيه داود عليه السلام أن أنذر الصديقين، وبشر المذنبين، فقال: يا رب، كيف أبشر المذنبين، وأنذر الصديقين؟ قال: بشر المذنبين بأني أقبل التوبة منهم، وأنذر الصديقين لئلا يغتروا بأعمالهم،[1] (أو ما يرجع إلى هذا المعنى من اللفظ ويقرب منه)[2].

وصلى الله على نبي الرحمة، المبعوث إلى كآفة الأمة بالرأفة والرحمة والحكمة في تمام النعمة، محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعد: فإني لما رأيتُ مجالسَ العلوم في زماننا هذا بِجَلّيِّ العلوم وغامضها معمورة[3]، وحظوظ أهلها منها موفورة، إلاَّ علوم المعاملة - فإنها أصبحت منبوذة مهجورة، لا يرتفع لها، ولا يلتفت إليها، ولا يُتعب في طلبها، بل يُتَعَجَّبُ مِمَّن شغل همه بها، وأتعب فكره لها، بل ربما نُسِبَ[4] إلى استيلاء

(١) في الحلية ٨/٢١١رقم ١١٩٠٦ قال: أوحى الله إلى داود: "بشر المذنبين وأنذر الصديقين" فكأنه عجب، فقال: "رب أبشر المذنبين وأنذر الصديقين؟" قال: "نعم ، بشر المذنبين أن لا يتعاظمني ذنب أغفره لهم، وأنذر الصديقين ألا يعجبوا بأعمالهم فإني لأضع عدلي وإحساني على عبد إلا هلك" . والكافي ٢/ ٣١٤، لفظه قال: كيف أبشر المذنبين وأنذر الصديقين؟. قال: بشر المذنبين أني أقبل التوبة وأعفو عن الذنب، وأنذر الصديقين ألا يعجبوا بأعمالهم فإنه ليس من عبد أنصفته الحساب إلا هلك".

(٢) ما بين القوسين ساقط في (ص).

(٣) في (هـ) (تُجلى الغموم ، دعائمها معمورة).

(٤) في (ص) ينسب.

السوداء عليه، وتغيير المزاج، مع أنه الغرض المطلوب، والأمر المقصود لمن أراد الآخرة وسعى لها سعيها - رأيت أن أضع كتابًا أذكر فيه ما يسمح الخاطر به في الوقت، ويستجيب الفكر إليه في الحال من علوم المعاملة والآفات وتوابعها على ضرب من الاختصار.

حكي عن أبي القاسم الجنيد[1] رحمه الله تعالى أنه قال: الله حسيب من شغل عنا صاحبنا - يعني عليًا عليه السلام - بالجمل وصفين، فلولا اشتغاله بهذه الحروب لأخرج لنا من هذه العلوم ما لا قِبَل لنا به[2].

[التوبة أول منزلة من منازل المريدين]

اعلم: علمك الله الخير ونفعك به، أن أول منزلة من منازل[3] المعاملة هي منزلة التوبة لمن أذنب ولمن لم يُذْنِب، وهي منزلة شريفة رفيعة لا يجوز مفارقتها من البداية إلى النهاية، وأنا -إن يسر الله تعالى- أذكر منها ما يحضرني مستعينًا بالله عزوجل، ومتوكلاً عليه، وراغبًا إليه من أن يجعل ما أتيته من ذلك خالصًا لوجهه.

---

(١) الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزار القواريري من كبار علماء الصوفية، كان كثير التعبد، ت ٢٩٧هـ وقيل: غير ذلك . له مؤلفات منها: أمثال القرآن، المحبة، المقصد إلى الله تعالى. ينظر وفيات الأعيان ١/١١٧. وتأريخ بغداد ٧/٢٤١. والأعلام ٢/١٤١. ومعجم المؤلفين ١/٥٠٨.

(٢) ذكر في فرائد السمطين ج١ص٣٨٠ أنه سئل عن محل علي بن أبي طالب عليه السلام من هذا العلم - يعني التصوف - فقال: لو تفرغ إلينا من الحروب لنقلنا عنه من هذا العلم ما لا تقوم له القلوب، ذاك أمير المؤمنين أعطي علم الدنيا.

(٣) في (ص) من علوم .

[الخشية والخوف شرطان لحصول التوبة]

باب ما يستعان به على التوبة: اعلم علمك الله الخير أن من أراد أن يحصل لنفسه منزلة التآئبين فيجب أن يملأ قلبه خوفًا وخشية؛ لأن التوبة لا تكاد تتم، وإن تمت لم تَصْفُ و لم تَدُمْ ما لم يصحبها الخوف والخشية. وقد نَبَّه الله تعالى على ذلك حيث يقول لنبيه ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام:٥١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ [فاطر: ١٨]، وقال: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]. وقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١]، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥].

واعلم: أن الخوف للتوبة بمنزلة الأساس للأبنية، فكما أن الأبنية إذا لم تكن بُنِيَت على أساس متين لم تستقم و لم يطل لبثها، كذلك التوبة إذا لم تُبْنَ على الخوف والخشية لم تستقم و لم يطل لُبْثُهَا، ولهذا كثير من المتكلمين(١) بنوا أمر الخواطر التي ترد على المكلف في أول أمره على الخوف.

---

(١) كأبي علي وابنه أبي هاشم ، فقد قالوا: إذا كملت علوم العقل لشخص فلابد أن يخاف ترك النظر، وإلا كان تكليفه كالنائم والساهي . والتخويف: إما من جهة نفسه بأن ينظر في تركيبه فيقول: لا تأمن أن يكون لك صانع يعاقبك إن عصيت أو يخوفه بعض الآدميين . البحر الزخار ١٣٨/١.

[ضرورة ذكر الموت وما بعد الموت]

واعلم: أن أكثر الأشياء دواعي وأقربها[١] بواعث على الغرض المقصود في هذا الكتاب[٢] هو الاستكثار من ذكر الموت، واستشعار النفس أسباب الفوت، والأحوال التي تكون عند الموت وبعد الموت: من البلى في القبر، وأحوال النشور والبعث، وأحوال أهل الجنة والنار، والاستدامة لتصورها، وتمكين ذكرها من النفس حتى يقل مَرَحُها[٣]، ويخفَّ أشَرُها، ويكثرَ إيرادها على القلب حتى تغمُرَه وتستوليَ عليه.

ومن أحَسَّ من قلبه القساوة وقلة التنبه[٤] فليتصور أحوالَه عند الغرغرة، والنزع عند مفارقة الروح للجسد، وكيف يبقى بين أهله طريحًا[٥]، وأحوالَ أهله وأيتامه، وكيف يبكون عليه ويَنْدُبُونَه، وكيف يأخذون عليه ثياب أهل الدنيا، وكيف يطرحونه على المغتسل، وكيف يَلُفُّونه[٦] في الكفن، ويُدلونه في القبر، وكيف يبلى هناك، وكيف تعبث الدواب من الديدان والحيَّات في لحمه[٧] وجلده، وَلْيَنُحْ على نفسه (لذلك)[١] بصوت

والخواطر خمسة: خاطر الحق سبحانه، وخاطر المَلَك، وخاطر القلب، وخاطر الشيطان، وخاطر النفس. ينظر تصفية القلوب للديلمي ٩٩ خ.

(١) في (هـ) وأوفرها.

(٢) في (هـ) الباب.

(٣) في (هـ) حتى ينكسر مرحها.

(٤) في (ص) وقلة التثبت.

(٥) في (هـ): طريحًا ذليلا.

(٦) في (بقية النسخ): يلقونه.

(٧) في (ص): جسمه.

شجي في الخلوات وفي ظلام الليل؛ فإن العلم بهذه الأحوال علم الضرورة، والإنسان يكون قد شاهدها كثيرًا، وما يُعلم ضرورةً ويكون مُشَاهَدًا؛ يكون تأثيره في النفس والقلب أقوى، فليهتم بهذا الباب اهتمامًا صادقًا. وبلغنا أن نوحًا عليه السلام سُمي نوحًا؛ لأنه كان ينوح على نفسه[٢]، فإذا تميز[٣] تأثير ما قلناه في القلب والنفس وأجرى دموعه - فكر حينئذ في أحوال البعث والنشور، والجنة والنار التي طُرقُ العلم بها اكتساب، فإنه ينتفع بذلك انتفاعًا بيِّنًا.

---

(١) ساقطة من (ص).

(٢) الطبرسي ١٨٥/٧ عن ابن عباس. وحلية الأولياء ٦٠/٣.

(٣) في (هـ): فإذا ظهر.

وروي عن زيد بن علي[1] عن آبائه عن علي عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ أَكْيَسُ النَّاسِ؟". قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "أكثرُهم للموت ذكرًا، وأشدُّهم له استعدادًا"[2]. وروي عن زيد بن علي عن أبيه عن جده، عن علي عليهم السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: "أديموا ذكر هاذم[3] اللذات"، قالوا: ما هو؟ قال: "الموت، فإنه من أكثر

(١) هو أبو الحسين إمام الأئمة، حليف القرآن، والده السجاد زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، ولد بالمدينة سنة ٧٥ هـ على الأصح، ونشأ بها.ورضع العلم من بيت النبوة على يد والده وأخيه الباقر، كان من عظماء أهل البيت علمًا وزهدًا، وشجاعة ودينًا وكرمًا، وكان قد شاب عصره من الأفكار الدخيلة على الدين فقام بثورته الفكرية ضد القدرية والمجسمة والمشبهة وغيرهم، فألف الرد على القدرية والجبرية، والرد على المرجئة، والصفوة، وإثبات الوصية، = = وإثبات الإمامة، وغيرها. وبعد ذلك بدأ في ترسيخ أهم مبادئه العظيمة "مبدأ الخروج على الظلمة" ودفع من أجله حياته، وكان قد حاول الأمويون إلغاء هذا المبدأ وأسسوا مبدأ طاعة ملوك الجور حتى وإن جلد ظهرك، وأخذ مالك، وهتك عرضك، وأجروا ذلك على لسان رسول الله ﷺ، فقد رووا عنه أنه قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، قال حذيفة: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمير ، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك فاسمع وأطع" مسلم ١٤٧٦/٤. ففتح باب الجهاد، وكان قد بايعه من الفقهاء الذين أخذوا عنه أبو حنيفة وأعانه بمال كثير، وقد انطوى ديوانه على خمسة عشر ألف مقاتل من الكوفة، وخرج معه من القراء والفقهاء الكثير، واستشهد في ٢٥ محرم ١٢٢هـ. ينظر التحف ٦٣، و الشافي ١٨٨/١. والمصابيح خ . والإمام زيد لمحمد أبي زهرة. والزيدية نظرية وتطبيق للسيد العلامة علي عبدالكريم شرف الدين.

(٢) المجموع ص٣٨٥. وأبو طالب ص٤٣٢ واللفظ لهما. والطبراني في الكبير ٤١٧/١٢ رقم ١٣٥٣٦ والصغير ٣٠٨/٦ رقم ٦٤٨٨. وابن ماجه ١٤٢٣/٢ رقم ٤٢٥٩ .

(٣) المشهور: بالدال، والسماع بالذال، فالسماع بالدال أشهر والذال أرجح، أي قاطع.

ذكر الموت سلا عن الشهوات، ومن سلا عن الشهوات هانت عليه المصيبات، ومن هانت عليه المصيبات سارع إلى الخيرات"[1].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال لجبريل: "يا جبريل كفى بالموت طآمَّة". فقال: يا محمد وما بعد الموت أطمُّ.

وروي عن محمد بن علي بن الحسين[2] عليهم السلام قال، قال رسول الله ﷺ: "الموتَ الموتَ، ولابدَّ من الموت، جاء الموت بما فيه، جآء بالرَّوح والرَّاحة، والكرَّة الرابحة[3] إلى جنة عالية لأهل دار الخلود الذين كان لها سعيهم، وفيها رغبتهم، وجاء الموت بما فيه، جاء بالشقوة والندامة والكرة الخاسرة إلى نار حامية لأهل دار الغرور، الذين كان لها سعيهم وفيهارغبتهم، فإذا استُحقَّتْ ولايةُ الله عزوجل والسعادة حل الأجل بين العينين، وذهب الأمل ورآء الظهر، وإذا استحقت ولاية الشيطان

---

(١) المجموع ٣٨٦، وأبو طالب ص٤٣٢، و الطبراني في الأوسط ٢١٣/١، رقم ٦٩١ عن أنس ابن مالك، قال: مر النبي ﷺ بقوم من الأنصار يضحكون، فقال: أكثروا من ذكر هاذم اللذات. وأيضا ٥٦/٦ رقم ٥٧٨١ عن ابن عمر: أكثر من ذكر هاذم اللذات - يعني الموت - فإنه ما كان من كثير إلا قلله، ولا قليل إلا جزأه، وزاد البزار ٤٦٦/٢ رقم ٢٢٢٧ : أحسبه قال: فإنه ما ذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه، ولا في سعة إلا ضيقها عليه، وقال: إسناده حسن.

(٢) ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام، باقر علم الأنبياء، ولد بالمدينة سنة ٥٧هـ، أحد عظماء الإسلام، إمام علم وفضل، ولقب بالباقر لسعة علمه وتبحره في العلم، وكان عابدًا، ناسكًا، تقيًا، سخيًا، وافر الحلم، وجلالة قدره أشهر من أن ينبه عليها. لقي جماعة من الصحابة وأخذ عنهم وعن والده زين العابدين وجماعة من التابعين، ت ١١٤هـ. وقيل: غير ذلك، ودفن بالبقيع. ينظر: طبقات الزيدية (مخطوط)، وعمدة الطالب ٢٢٤. وأعيان الشيعة ٦٥٠/١.

(٣) في (هـ، و ص): في الكرة المباركة.

والشقاوة حل الأمل بين العينين، وذهب الأجل ورآء الظهر"، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، قال: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ﴾ [النساء: ٧٨]، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر:٣٠]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ﴾ [الجمعة: ٨]، وقال: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]، وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

وإنما ذكرَ الله عزوجل ما ذكر من ذلك على سبيل التذكير والتخويف دون طريقة الإعلام والتعريف إذ المعرفة حاصلة للجميع[1] بأن الموت لا محالة واقع، وأن ليس دونه مانع ولا دافع، ولكنه عزوجل خوَّف عباده بتكرير ذكره؛ لعلمه عزوجل بما لهم فيه من النفع العظيم في دينهم.

وروي عن أنس أن النبي ﷺ خطب فقال: "أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا كُتِبَ، وكأن الحقَّ فيها على غيرنا وَجَبَ، وكأن الذي نُشَيِّعُ

(١) في (ص): لجميع العباد.

من الأموات سَفْرٌ عما قليلٌ إلينا راجعون، نُبَوِّئُهُم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون(من)[1] بعدهم"[2].

وعن عيسى عليه السلام يا صاحب العلم احذر الموت، فإنك لا تدري متى يغشاك فاستعد له قبل أن يفجأك. وروي عنه عليه السلام: أنه رأى الدنيا في صورة عجوز عليها من كل زينة، فقال لها: يا امرأة، كم تزوجت؟ قالت: لا أحصيهم، قال: مات عنك كلهم أم طلقوك؟ قالت: لا، بل قتلتهم، فقال عيسى عليه السلام: بؤسًا لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين؟! كيف تهلكينهم واحدًا بعد واحد ولا يكونون منك على حذرٍ[3]؟! وعن بعضهم قال: رأيت عليًا عليه السلام يسرع في المشي فاتبعته فنظر إليَّ فقال: هلم حتى نصبَّ من دموعنا[4]، فأتينا القبور، فقام بين القبور، فقال: يا أهل القبور نسيكم الأحبة والإخوان، (واستبدل بكم الجيران جيرانا، واستبدل بكم الإخوان إخوانا)[5]. يا أهل القبور، كيف وجدتم مرارة الموت وثقل

---

(١) ساقطة في (ص).

(٢) الأربعين السيلقية نسبة لجامعها الشريف أبي القاسم زيد بن عبدالله بن مسعود الهاشمي السيلقي: الحديث الأول ص٩، وشعب الأيمان ٣٥٥/٧، و الحلية ٢٣٦/٣ عن الحسن بن علي، ثم قال: هذا حديث غريب من حديث العترة الطيبة، وذكر أيضًا أنه روي من طريق أنس. ومسند الشهاب عن أنس ٣٥٨/١ والأزدي كما حكاه العلامة محمد الجلال في كشف الأستار تخريج شمس الأخبار ٩٩/٢. وقال: قال ابن الجوزي: لا يصح، في إسناده مجاهيل وضعفاء، قال: لا يلزم من ذلك وضعه لمن أنصف وتتبع متون السنة ورجالها فإنه يجد نظائر هذا و لم يحكم بوضعه.

(٣) الزهد لابن أبي الدنيا ٣٣.

(٤) في (ش): حتى نصيب من أمواتنا.

(٥) في (ش): واستبدل بكم الجيران و الإخوان إخوانا.

التراب؟، ثم بكى بكاء شديدًا، ثم أمعن بين القبور، ثم وقف فقال: يا أهل القبور، أما المساكن فقد سكنت، (وأما الأموال فقد قسمت)[١]، وأما الأزواج فقد نُكحت فهذا خبر ما قِبَلَنَا، فما خبر ما قِبَلَكُمُ، ثم التفت إليَّ فقال: لو نطق القوم لقالوا: إنا وجدنا خير الزاد التقوى[٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المعروفة بالزهراء في صفة المحتضر بعد كلام طويل: فغيرُ موصوف[٣] ما نزل بهم[٤] من حسرات أنفسهم، اجتمعت عليهم خصلتان: حسرة الفوت[٥]، وحسرة سكرة الموت؛ فاغبَرَّت وتغيرت لها ألوانهم، وتَرَدَّدَ[٦] طَرْفُهُم، وتحرَّكت لمخرج[٧] أرواحهم أيديهم وأرجلُهم؛ فعرقت لذلك جباههم ثم ازداد الموت فيهم[٨] (فحيل بين أحدهم وبين منطقه، وإنه لبين ظهراني أهله ينظر ببصره، ويسمع بسمعه، وإنه لعلى صحة من عقله، وقد مُنِعَ كلامه، فَفَكَّرَ بِعَقْلٍ بَيِّنٍ فِيمَا أفنى عمره، وفيما ذهبت أيامه، يذكر أموالا جمعها أغمض في مطالبها، أخذها من غير حقها ومشتبهاتها[٩]، لَزِمَهُ وَبَالُها، فقد أشرف على فراقها،

---

(١) ساقط في (هـ، و ش).

(٢) النهج ٧٠٨، رقم ١٣٠. والعقد الفريد ٣/٢٣٦.

(٣) في (هـ): فغير أمر موصوف.

(٤) في (ش): ما نزل بقلوبهم.

(٥) في (ص): حسرة القلوب، وفي (هـ ، ش) الغلب ولعله القلب تصحف .

(٦) في (ك): وتبدد.

(٧) في (ك): وحرك المخرج أرواحهم، وفي (هـ): وحركوا.

(٨) في (ش، وص) إلى قوله: العذاب أبدًا جديد، والعقاب أبدًا يزيد. وبقية الخطبة من (هـ)، و(ك) .

(٩) في (ك): ومتشابهاتها. وفي النهج أخذها من مصرحاتها ومشتبهاتها.

فيبقى مَنْ بعده يتخوف منها، والمرؤ قد غَلِقَت رهونه بها، وعض يديه على ندمه ، ويصح عند الموت عقله، وزهد فيما كان يرغب فيه في حياته؛ فتمنى أن الذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه. فما زال الموت يزيد ويبالغ في جسده حتى خالط الموت سمعه فصار بين أهله لا ينطق بلسانه ولا يسمع كلامهم ، فما زال الموت يزيده حتى خالط عقله فصار لا يعقل ولا يسمع ولاينطق، ثم ازداد الموت حتى خالط بصره فذهبت معرفته من الدنيا، وتُهتَكُ عند ذلك حجته من غيب هول كان مغطىً عنه فجدد لذلك بصره، ثم ازداد حتى بلغت النفس الحلقوم، ثم ازداد به الأمر حتى خرج روحه من جسده فصار جيفة بين أهله، قد أوحشوا من جانبه، وأخذوا في غسله، فنزعوا عنه ثياب أهل الدنيا حتى نزعوا عنه خاتمه، ووضئوه لغير صلاة، وغسلوه، وقلبوه حيث لايجيب داعيا، ولا يسعد باكيا، وكفنوه وحنطوه، ثم حملوه وانتهوا به إلى محطٍ من الأرض فدلوه فيه، وخلوه في قبره، فخلت به أمور معضلات، ومسألة من منكر ونكير، مع ظلمة وضيق ووحشة من القبور؛ فذلك مثواه حتى يبلى جسده ويصير ترابا، حتى إذا بلغ الأمر إلى مقداره، ولَحِقَ آخر الخلق بأوله جاء أمر من الله أراد به تجديد خلقه، فأمر بصوت من سماواته أمارها وفطرها وفتَّتَها وشقَّقَها؛ فأفزع من فيها وبقي ملائكته على أرجائها، ثم وصل الأمرإلى الأرض، والخلق تراب لا يشعرون فأرجَّ أرضهم وأرجفها، وقلع جبالها من أصولها ونسفها وفتتها وسيرها ودكَّ بعضها بعضا هيبة

لجلاله، ثم لما كانت كالعهن المنفوش فجعلها وأرضها دكة واحدة، وأخرج من فيها فجددهم بعد بلائهم، وجمعهم بعد تفريقهم يريد أن يحصيَهُم ويميزهم، ثم يفرقهم فريقًا في الجنة وفريقًا في السعير، ففاز أهل الطاعة بجواره، وبخلود في داره، وعيش رغد، ومجاورة رب كريم، ومرافقة محمد ﷺ. وأما أهل المعصية فخلدهم في النار، وأوثق منهم الأغلال، وغل منهم الأيدي إلى الأعناق، وأُلبسوا سرابيل القطران في عذاب قد اشتد حره، وباب قد أطبق على أهله، العذاب أبدا جديد، والعقاب أبدا يزيد)[(١)(٢)].

[ضرورة قراءة القرآن وكيفيته]

فَأدِم رحمك الله الفكر في هذه الأحوال والتصور لها، واستعن على ذلك بقرآءة القرآن بصوت شجي أو استماع من يقرؤه، متوقفًا على آيات الوعد والوعيد، ومتدبرًا لها كما قال عليه السلام في صفة المتقين: فإذا مروا بآية فيها شوق رَكَنُوا إليها طمعًا، وتطلَّعت أنفسهم إليها شوقًا، وجعلوها نصب أعينهم، وإذا مرُّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وأبصارهم، فاقشعرَّت لها[(٣)] جلودهم، ووجلت منها قلوبهم، وظنوا أن صهيل جهنم وزفيرها وشهيقها في آذانهم[(٤)].

---

(١) العقد الفريد ٤/٧٦، وفي النهج ٢٩٠ رقم ١٠٧ بما يوافق ذلك.
(٢) ما بين القوسين من (هـ، وك).
(٣) في (هـ، وك) منها.
(٤) في (هـ) : في أصول آذانهم. ينظر النهج ٤٧٣ رقم ١٩١.

وروي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي عليهم السلام أن رسول الله ﷺ سئل عن قوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤] فقال: بَيِّنْهُ تَبيينًا، قِفُوا عند عجائبه، وحرِّكوا به القلوب، ولا يكن هَمُّ أحدكم آخر السُّورة[1]. وعن زيد بن علي عن علي بن الحسين عليهم السلام قال: ذكروا أن عليًّا عليه السلام كان يصلي من الليل فيقوم بالآية والآيتين والسورة والسورتين من أول الليل إلى آخره، وكان الرجل إذا رآه يظن أنه صاحب مصيبة لطول حزنه.

وروي عن عائشة الخثعمية - وكانت زوجة للحسن بن علي عليه السلام - قالت: والله إن كان أمير المؤمنين عليه السلام ليحيي الليل بالآية يرددها، (ولقد أسمع وقع دموعه على الأرض)[2]. ولقد سمعته ليلة وقد وضع جبهته على الأرض بعد فراغه من صلاته يمرغ خديه على الأرض يقول: "اللهم اغفر لعلي وارحمه"، ولا يزيد على ذلك.

وقال الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام[3]: هيِّجُوا قلوبكم بديمومات الأحزان والبكاء: إما بأنفسكم وإما بغيركم من القرآن[1].

---

(١) السيوطي في الدر المنثور ٤٤٢/٦ وفي جامع الأحاديث ١٥/ ٢٦٩، وعزاه إلى العسكري في المواعظ عن علي (ع).

(٢) ساقط من (هـ).

(٣) هو الإمام أبو محمد القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام، الملقب بالرسي لتمركزه في جبل الرس . وهو من أقمار العترة الرضية، انتهت إليه الرئاسة في عصره وتميز بالفضل على آبناء دهره، ولد سنة ١٠٧هـ . ودعا إلى الخلافة سنة ١٩٩، ولبث في دعاء الخلق إلى الله إلى أن توفي في جبل الرس . توفي سنة ٢٤٦ هـ ، وله عليه السلام العلم

وحكي عن الربيع بن خثيم[٢] أنه مرَّ بآية من القرآن وهو يتلو من الليل، فلم يزل يردد الآية إلى الصباح وهي:﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾[الجاثية: ٢١] [٣]. وحكي أن محمد بن واسع جعل ورده في ليله: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَـٰشِيَةِ﴾ [٤].فاستعن بالله على ذلك بالنظر إلى العظام الرميم في المقابر؛ فإنه يذكرك البلى في

العجيب ، والتصانيف الرايقة فِيْ علم الكلام ، وغيره من الفنون. فمنْهَا كتاب الدليل الكبير.و الدليل الصغير، والعدل والتوحيد الكبير. والرد عَلَى ابن المقفع. والرد عَلَى النصارى. والمسترشد، والرد عَلَى المجبرة، وتأويل العرش والكرسي عَلَى المشبهة. وكتاب المسألة التي نقلت عنه في محاورة الملحد، والناسخ والمنسوخ، والمكنون في الآداب والحكم. ينظر التحف شرح الزلف ص١٤٥. والشافي ١/ ٢٦٢. والأعلام ٥/١٧١ . والحدائق الوردية ٢/٢.

(١) في سياسة النفس ٢٧٣ مجموع الإمام القاسم (مخطوط) ولفظه: فإن غلبت عليكم الغفلة فيها، أو فترتم بخطيئة عن النهوض إليها، فهيجوا قلوبكم عليها وادعوا أنفسكم إليها بأصوات الأحزان والبكاء، إمَّا بأنفسكم من القرآن، وإما بغيركم من القرآن، فإن القرآن نور وعبرة لمن اعتبر ، والبكاء والأحزان تذكرة لمن تذكر.

(٢) الربيع بن خثيم : أبو يزيد، أدرك الرسول ﷺ أسلم و لم يره بل هو من أصحاب عبدالله بن مسعود، قليل الرواية، وجهه الإمام علي عليه السلام إلى ثغر الري بعد أن قال له: يا أمير المؤمنين، إنا شككنا في هذا القتال على معرفتنا بفضلك، ولا غناء بنا ولا بك ولا بالمسلمين عمن يقاتل العدو، فولنا بعض الثغور. توفي ٦٢هـ وقيل: ٦٣هـ. ينظر ابن سعد ٦/١٨٢، والحلية ٢/١٢٤. وقعة صفين لنصر بن مزاحم ١١٥.

(٣) ابن سعد ٦/١٨٧.

(٤) ما بين القوسين من (هـ)، و (ك).

القبر، قال الله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ [ق: ٤]. وروى عن محمد بن واسع(١) أنه قال لبعضهم(٢): ما أعجب إليَّ منزلك، قال: وما يعجبك من منزلي وهو عند القبور؟ قال: وما عليك؟ قال: يُقِلّون الأذى، ويذكّرونك الآخرة(٣).

وكثير من الصالحين كانوا يألفون النظر إلى المقابر معتبرين، وكذلك النظر إلى النيران المؤججة العظيمة ما يذكر بنار جهنم نعوذ بالله منها. وروي عن علي عليه السلام أنه قال: نعم البيت الحمَّام يذهب الدرن ويذكر (بالآخرة)(٤) والنار(٥).

واعلم أن كل من أيقن بالبعث والنشور والجنة والنار يحب الفوز بالجنة والنجاة من النار، لكن يصرفه عن ذلك حبُّه للدنيا، وتعظيمه لها، واغتراره بها؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "حب الدنيا رأس كل خطيئة"(٦)، فإذا عملت(٧) بما ذكرنا واكتسبت الخوف والخشية والهم والحزن ودمت عليه

---

(١) ابن جابر الأزدي أبو بكر، من زهاد وعبّاد البصرة. ذكر الدامغاني في الجوهرة أنه من متصوفة الزيدية. ينظر صفوة الصفوة ١٥٢/٣، والحلية ٣٩٢/٣.

(٢) لعمارة بن مهران المعولي.

(٣) الحلية ٣٩٥/٢.

(٤) في (هـ)، و (ك).

(٥) الكافي ٥٠٧/٦. وقد روي مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن أبي هريرة في كشف الخفاء ٣٢٢/٢ بلفظ: نعم البيت الحمام فإنه يذهب بالوسخ ويذكر بالآخرة.

(٦) ابن أبي الدنيا في الزهد "ذم الدنيا" ص٢٧، والبيهقي في شعب الإيمان ٣٣٨/٧ مرسلاً.

(٧) في (ص): علمت.

صغرت الدنيا في عينك، وخف قدرها في نفسك، وبمقدار ذلك تعظم الآخرة في قلبك، ويكبر حالها عندك، ومن هانت الدنيا عليه، وعظمت الآخرة لديه، سهلت عليه التوبة ،وكثرت دواعيها، وفقنا الله لذلك. وروي أن داود عليه السلام قال: يارب أمرتني أن أطهر أعضائي لك بالماء، فبماذا أطهر قلبي؟ فأوحى الله إليه بالهموم والأحزان.

باب [منزلة] التوبة [عامة لكل العباد]

اعلم أن التوبة منزلة شريفة يجب على الإنسان أن يستصحبها من أول بدايته إلى آخر نهايته، وليس يرتفع عنها أحد من البشر؛ لارتفاع منزلته عند الله وعِظَمِ محله، كما ليس يتضع عنها أحد منهم؛ لكثرة ذنوبه وعظم أوزاره ، ألا ترى أن الله عزوجل دعا إلى التوبة الأنبياءَ صلوات الله عليهم والصديقين، وحكى عنهم ومدحهم عليها، وكذلك دعا أهل الفسوق والكفر والفجور.

[توبة الأنبياء]

قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]. وحكى تبارك وتعالى عنه وعن حواء أنهما: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

(وذكر الله تعالى عن نوح عليه السلام لما قال : ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٦-٤٧].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ﴾ [هود: ٧٥] والإنابة هي التوبة. وحكي عن كليم الله موسى ﴿سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وعن داوود: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]. وعن يونس:﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وقال الله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١١٧] وقال عز وجل لنبيه: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر:

٣] . وروي عنه ﷺ أنه قال: (إنه لَيُغَانُ على قلبي وربما أستغفر الله في اليوم سبعين مرة)[1].

[توبة المؤمنين]

ثم دعا إليها المؤمنين وقال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور:٣١] وقال:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

[توبة أهل الكفر والفسوق]

ودعا إليها أهل الكفر والفسوق فقال عز وجل:﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[المائدة:٧٣، ٧٤]، وقال:﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ

---

(١) مسلم ٢٠٧٥/٤، وأبو داوود ١٧٨/٢رقم ١٥١٥ والطبراني في الكبير ٣٠٢/١رقم ١٨٨٩، وأحمد بن حنبل ٢٥٦/٦رقم ١٧٨٦٥ كلهم بلفظ "إنه ليغان على قلبي وإني أستغفر الله في اليوم مائة".

حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠]، وقال سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم:٥٩، ٦٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ۝١٤٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[النساء: ١٤٥، ١٤٦].

وقد دعا الله عزوجل المذنبين جميعا على اختلاف طبقاهم إلى التوبة قال الله عزوجل: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [٥٣، ٥٤: الزمر].

وبلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال لأبي ذر رحمه الله: "يا أبا ذر، إنَّ حقوقَ الله أعظمُ من أن تَقوم بها العباد، ولكن امسُو تائبين وأصبحوا تائبينَ")[1].

فلا يظن ظان أنه قد ارتفعت منزلته لإخلاصه وانقطاعه إلى الله تعالى عن التوبة، ولايظن أحد أنه قد انحطت منزلته عند الله؛ لكثرة خطاياه وذنوبه من الكفر والفسق عن التوبة، فلا أرفع منزلة من الأنبياء[2]، ولا أوضع حالاً من الكفار، فكل منهم مبعوث على التوبة مدعو إليها محمود عليها.

[اختلاف التوبة باختلاف أحوال الناس]

إلاَّ أن أحوال الناس تختلف في التوبة:

فتوبة الأنبياء عليهم السلام والصديقين أكثرها يكون من الأفكار والخطرات[3]، ولذلك ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: "إنه ليُغَانُ على قلبي وربما استغفرت الله في اليوم سبعين مرة".

وروي عنه ﷺ أنه قال في دعائه: "أعوذ بك أن أُشْرِكَ بك وأنا أعلم، وأستغفرك مما لا أعلم "[4] فاستغفاره ﷺ مما لا يعلم مما عبر عنه بالشرك من جملة الأفكار والخواطر، ويدل على ذلك قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ

---

(١) مابين القوسين في (هـ،ك) وفي (ش،ص) ذكر مابين القوسين مجملا فقال: مع ما ذكر عن كثير من أنبيائه وأوليائه في التوبة والإنابة.

(٢) في (ص) فلا أحد أرفع .

(٣) في (ص) الخواطر .

(٤) مجمع الزرائد ١٠/ ٢٢٣- ٢٢٤.

أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ [البقرة: ٢٦٠] فطلب عليه السلام دفع الخواطر التي تعرض.

وتوبةُ المريدين الصالحين يكون أكثرها من الغفلات والزلات.

(وتوبةُ من دونَهم تكون من المعاصي صغارها وكبارها بحسب أحوال الناس)[1]، وتوبةُ من يبلغ بمعاصيه الكفر تكون منه وما قاربه.

[كيف تكون التوبة؟]

وهيئة التوبة[2]: هي الندم على جميع ما ارتكب الإنسان من المعاصي، وأخل به من الواجبات؛ مع العزم على ترك المعاودة إلى شيء من أمثاله، وألاّ تخلو مع ذلك من الإشفاق والخوف؛ إذ لا يأمن أن لا تكون توبته واقعة في الإخلاص وغيره على ما يجب. وعليه يدل قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. وقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]. وقوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ

(١) ما بين القوسين ساقط من (ش،ص) .

(٢) في (هـ) وجملة التوبة.

سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

[أقسام التوبة]

ثم اعلم أن التوبة تنقسم قسمين: **قسم** منها يتعلق بالإصلاح، وقسم منها يتم بالندم والعزم مع الخوف والاشفاق، فلا يحتاج لها إلى إصلاح شيء.

فما يتعلق بالإصلاح ولايتم إلا به[١]، أو ببذل المجهود فيه كتوبة من عليه صلاة فآئتة، أو صيام فائت، أو زكاة فائتة، فإن توبته لا تصح إلاَّ بقضاء ذلك أجمع، أو بذل المجهود فيه، وكذلك مَنْ عليه النذور والكفارات لابد له من أداء ما عليه من ذلك، وإصلاح ما فسد بذلك من حاله، وهذه الجملة توبة من عليه الحقوق للآدميين من الدمآء والأموال والقذف والغِيبَةِ وسآئر وجوه الاعتداء ؛لأن التوبة لا تتم[٢] إلا بإرضاء الخصوم وتلافي ما فرط أو بذل المجهود فيه.

والقسم الثاني من التوبة : وهو الذي لا يتعلق بالإصلاح والتلافي هو أن يكون بين العبد وربه عزوجل مما[٣] لا يحتاج إلى استدراك فائت، كالكفر والزنى وشرب الخمر واللفظ بالخنا والاشتغال باللهو والخواطر والأفكار

---

(١) في (هـ ،ك) ومالايتم إلا به.
(٢) في (هـ) لأن توبته، وفي (ص)لأن التوبة لاتصح .
(٣) في (هـ) لما .

الرديئة،أوما يجري مجراه ، فإن هذا القبيل من التوبة يكفيه لها الندم والعزم مع الخوف والإشفاق .

ولا فصل بين صغير الذنب وكبيره في كون التوبة منه متعلقة بالإصلاح أو غير متعلقة به ، وإنما الفصل في ذلك ما ذكرنا.

فإذا[(١)] أتى التائب بالتوبة على الوجه الذي ذكرنا وبيناه كان من التآئبين الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] وتكون توبة نصوحا.

[دواعي نقض التوبة]

ويجب على العبد التمسك بذلك والتوقي؛ لئلا يصرفه الشيطان عنه بتسويف[(٢)] أو دعا إلى الشهوة، أو حب المال والشرف؛ لأن هذه الثلاثة الذي ذكرناها وهي: الشهوة، وحب المال، والشرف، كل واحد منها قاطع للتائب عن التوبة.

ودعاءُ الشهوة إلى ما يلذ السمع والبصر والشم والمأكل والمشارب والمناكح والملابس، ومن جملة ذلك الكسل؛ لأن أصله حب الراحة وأشر[(٣)] ذلك شهوة الكلام، فيجب أن يستعين على دفع الشهوات بمداومةالجوع والعطش وطلب الخلوة على ما نُبَيِّنُه في باب الإرادة.

---

(١) في (هـ) فإن .

(٢) في (ص) بالتسويل .

(٣) في (هـ) أشد .

ودعاء حب المال إلى الجمع من الحلال والحرام والشبهات، ومن جملتها البخل الذي يمنع من إيفاء ما عليه من حقوق الله تعالى وحقوق بني آدم المتعلقة بالأموال.

ودعاء حب الشرف إلى الحسد والكبر والرياسة والرياء والمقت[1] .

ويجمع ذلك كله حب الدنيا؛ ولذلك قيل: "حب الدنيا رأس كل خطيئة".

واعلم أن أشد الدواعي إلى نقض التوبة دواعي الشهوة، وقد ذم الله تعالى اتّباعَ الشهوات فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٢٧] وقال: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]. وقال: ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٠] وعن بعض الحكماء: ليس لعدوك عليك سبيل ما دمت مصلتا لسيف الصبر على شهوتك، فإن تركت الصبر، وملت إلى شهوتك سُلّطَ عليك عدوك.

---

(١) في (ج) والغضب.

وتستعين على دفع الشرف بأن تحقر نفسك، وتحقر قدرها بتذكير كثرة أدناسها وضعفها وفقرها وذلها ومسكنتها، وأنها كانت في الأول نطفة، ثم تصير جيفة، وبأن تعظم قدر الله عزوجل في القلب وتُجِلَّه وتخشع له بتذكُّر عظمته واقتداره على ما يشاء حتى تذل نفسك.

وتستعين على دفع حب المال عن نفسك بأن تشعر نفسك أنك لا تريد أن تنيلها ما عشت إلا القوت من الـمَطْعَمِ والـمَشْرَب والـمَلْبَس، ولا تُنِل عيالك إلا القوت ،كَثُرَ مَالُكَ أوقَلَّ ، فإنك إذا عملت ذلك خف عندك قدر المال إن شاء الله تعالى.

فيجب على التائب أن يتوقى هذه الوجوه أشد التوقي، ويَحذر أن يؤتى منها أشد الحذر؛ لأنها دواعي نقض التوبة ؛ ولذلك تجد كثيرًا من أبناء الدنيا المنهمكين فيها إذا تابوا لم يثبتوا على التوبة، إما بأن ينسلخوا منها جملة، أو بأن يُخِلُّوا ببعض أركانها؛ لأن دواعيهم[1] إلى المعاصي، وصوارفهم عن الواجبات تكون بحالها لم يعالجوها، و لم يأخذوا أنفسهم بقمعها وإزالتها، فيوشك أن يعود كما كان. ألا ترى أن من كسب غيضة فكسحها وقطع أشجارها ؛ متى ترك عروقها على حالها و لم يقصدها بالإزالة و لم يتعاهد الأرض بالتنقية يوشك أن تنبت أشجارها كما كانت.

نعوذ بالله من الحَوْرِ بعد الكَوْرِ[2]، ونسأل الله العصمة وحسن التوفيق.

---

(١) في (ك) لتردد.

(٢) الحور: النقصان والرجوع. والكور: الزيادة .تاج العروس ٤٦١/٧ .

وقد نبَّه الله تعالى على ما ذكرنا وحذر عباده مما وصفنا بقوله: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦] فبين عزوجل أن الذي آتاه من فضله، وخصه بما خصه لَـمَّا ركن إلى الدنيا واتبع الهوى انسلخ مما آتاه الله ومنحه به من فضله ورحمته؛ فليحذَرِ التائبُ هذه الحالةَ كُلَّ الحذر، وَلْيَعْلَمْ أنه إن نكص على عقبيه (أُتِيَ مِنْ تَرْكِهِ تَوَقِّي ما قلناه)[1]، وليستعن بالله عزوجل وليجعل استعانته به وتضرعه إليه ليعصمه ويوفقه.

[مكائد الشيطان]

وروي عن موسى بن جعفر[2] عليهما السلام أن للعدو مكائد:

فأول مكائده أن يدعو العبد إلى أخذ الشهوات والحرام، فإنْ رأى العبدَ معتصمًا بالله تعالى لاجئًا إليه أيس منه في هذه المنزلة وخنس عنه.

---

(١) في (هـ) أتى من تركه التوبة مماقلناه.

(٢) ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ولد سنة ١٢٨هـ بالمدينة كان من فضلاء أهل البيت وعلمائهم ، لقب بالعبد الصالح لعبادته واجتهاده وكان سخيا كريما، حبسه الرشيد لما علم أن الناس يبايعونه فلما أبطأ عليه الموت أمر الفراشين من النصارى أن يغموه في الفراش حتى مات، وقيل: دس له السم سنة ١٨٣هـ الشافي ١/ ٢٤٠ .تأريخ بغداد ١٣/ ٢٧.

ثم يدعوه إلى المنافسة في طلب الحلال فإن ظفر بالعبد من هذه الجهة عرض له بالبخل والفاقة وخوف الفقر، وأنساه أياديَ مولاه عزوجل عنده وما مَنَّ به عليه من اليسر بعد العسر .

فإن لم يظفر به من هذه الجهة و لم يتمكن من تثبيت حب الدنيا في قلبه؛ وأبصر العبدُ مكائدَه خنس عنه، ثم دعاه إلى طلب الحلال للتصدق به على الفقراء [1]، ويصرفه في الجهاد والحج وصلة الرحم وأبواب الخير؛ فإن ظفر به عَرَّضَه للبخل والفاقة.

وعَرَضَ عدو الله لأقوامٍ هم بقية الله من خلقه، وقالوا: هذه مكيدة منك لسنا بأرحمَ لهؤلاء من ربهم ، إنما أمَرَنا بالفضل مما أعطانا، وسألنا الرضى عنه فيما حبس عنا، فهؤلاء الذين ضلت مكائده عندهم[2].

[أنواع التائبين]

وعن بعض الحكماء في التوبة أنها على ثلاث منازل:

رجل تاب عند نفسه ما لم تعرض له شهوة فإذا عرضت له شهوة أضاع المحاسبة وركبها، وأكثرُ الناس على هذا.

ورجل تاب بقلبه وجوارحُه تضطرب عليه فيستقيم طورًا ويعدل عن المحجة أُخرى، فهو من نفسه في جهد، وبحسب اجتهاده يزداد صفاءً أو كدرًا.

---

(١) سقط من (هـ، ش) على الفقراء.

(٢) في (هـ، ص) عنهم.

ورجل تاب بقلبه وجوارحه، وقد عطف بعضها على بعض فأدمن المحاسبة مخافة أن ينقلب منه بشيء(ينقض توبته)[1] أو يظفر به عدوه، فهذا الذي استحق[2] من الله العصمة والتثبيت.

[علامات التوبة وحقيقتها ومعناها]

وعن بعض الحكماء قال: علامات التوبة أربع: إدمان البكاء على ما سلف من الذنوب، والخوف المقلق من الوقوع فيها فيما بعد، وهجران أخدان السوء، وملازمة أهل الخير.

(وروي عن جعفر بن محمد عليهما السلام أنه سئل عن معنى قوله تعالى: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [٨: التحريم] قال: يتوب العبد ولا يعود[3]. وروي نحوه عن مجاهد وعن الضحاك)[4].

وروي عن جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال: "إن الله يحب العبد المفتن التواب"[5] وروي عنه أنه قال: إذا أذنب العبد المؤمن كُفَّ عنه سبع ساعات من النهار، فإن استغفر الله لم يكتب عليه وإلا كتب عليه[6].

(١) ما بين القوسين من رضا رب العباد ص٤٣١.
(٢) في (هـ، ص) استوجب.
(٣) الكافي ٢/ ٤٣٢.
(٤) ما بين القوسين ساقط في (ش،ص).
(٥) في (ش،ص) (إن الله يحب التواب) المسند رقم ٦٠٥ ورقم ٨١٠. والكافي ٢/٤٣٥.
(٦) الكافي ٢/ ٢٣٩، بما يوافق ذلك .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ترك الخطيئة[١] أيسر من طلب التوبة.[٢] وقيل: حقيقة التوبة أن تبغض المعصية.

وحكي عن أبي القاسم الجنيد بن محمد رحمه الله تعالى أنه سئل عن التوبة، فقال: ألاَّ تذكر ذنبك[٣]. ومعناه والله أعلم بمراده: (أن يغلب عليك الندم، والإشفاق حتى لا يخطر ارتكاب الذنب فيما بعد على بالك فتكون كأنك لا تذكره . والله أعلم)[٤].

وأرفع من هذه المنزلة أن يكون التائب لا يرى التوبة؛ وذلك لفرط استيلاء الندم والتذمم والخوف والإشفاق عليه حتى لا يرى نفسه تائبًا، ويشغله عما يرد عليه من (ذلك على أن يُريَ نفسه لنفسه توبة)[٥].

ومصداق ذلك ما يروى عن بعض[٦] السلف الصالحين أنه كان لا يقوم من سجوده إلا لِـمَا لا بُدَّ منه حتى أنبتت دموعُه العُشْبَ (وأنه كان يزفر زفرات تحرق ما ينبت من ذلك العشب)[٧] ولن يكون ذلك والله أعلم إلا للحالة التي أشرنا إليها.

---

(١) في (هـ)الذنب .

(٢) النهج ص٧١٩ رقم ١٧٠، بلفظ ترك الذنب أهون من طلب التوبة، وسلوة العارفين ص٤٣٦.

(٣) الرسالة القشيرية ٥٠ ولفظه أن لا تنسى ذنبك .

(٤) مابين القوسين ساقط من (هـ) .

(٥) في (ص) من أن لايرى نفسه لنفسه توبة .

(٦) في (هـ) ما روي عن داوود عليه السلام أنه لما واقع الخطيئة بكى أربعين صباحا ساجدا لا يقوم من سجوده.

(٧) مابين القوسين من (هـ) .

(ويروى أن نوحا (عليه السلام) لما قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ [هود: ٤٥] أخذته الصيحة حين قال: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦] فخر مغشيا عليه وبقي خمسين ومائة ليلة يبكي وهو يقول: ﴿أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾[هود: ٤٦] فنودي ﴿ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾[هود: ٤٨]. ألا ترى كيف روي أنه غلب عليه الندم والإشفاق حتى بلغ ما بلغ)[١].

وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: "من تاب في سنته تاب الله عليه والسنةُ كثير ثم قال : من تاب ... إلى آخره"[٢] .

وعن جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال في قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ [القيامة: ٥] قال: يُقَدِّمُ الذنب ويؤخر التوبة[٣]، ويقول: سوف أتوب. وعن علي (عليه السلام) أنه كان يقول: لا خير في الدنيا إلا

---

(١) ما بين ا لقوسين ساقط من (ش) .

(٢) رواه في شمس الأخبار ٣٦/٢ عن عبدالله بن عباس، وأبي هريرة والخطيب عن عبادة بن الصامت ٨/ ٣١٧ .في (هـ) أكمل الحديث:و من تاب في شهر تاب الله عليه=

= ثم قال: والشهر كثير، ومن تاب إذا بلغت النفس هذه وأشار بيده إلى حلقه تاب الله عليه.

(٣) عن الإمام زيد بن علي (عليه السلام) في تفسير غريب القرآن ٣٨٥. والدر المنثور ٤٦٥/٦. وشعب الإيمان ٣٨٤/٧ عن ابن عباس.

لأحد رجلين: رجل يزداد كل يوم إحسانًا[١]، ورجل يتدارك منيته بالتوبة[٢].

[عدم الاكتفاء بمنزلة التوبة وطلب منزلة المريدين]

فإذا أحكم العبد التوبة وأخلصها لم يرض بتلك المنزلة، بل يطلب بعدها منزلة[٣] المريدين؛ فإنَّ من رضي لنفسه بمنزلة من المنازل ولم يطلب ما بعدها لم يثبت عليها بل ينكص على عقبيه، وعلى هذا يحمل ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قوله : مَنْ اسْتَوَى يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ [٤]. وإنما يكون ذلك كذلك؛ لأن العقل والهوى يتجاذبان، فمتى لم يكن العبد مع العقل قاهرًا لهواه غلبه الهوى؛ لأن دواعي الهوى أقوى من دواعي العقل، ألا ترى أن اتباع الهوى لايخرج إلى المجاهدة (واتباع العقل يخرج إلى المجاهدة)[٥] ولقوة دواعي الهوى تجد المتبعين للهوى أكثر من المتبعين للعقل؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[سبأ: ١٣] ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]. فمتى توقف العبد عن المجاهدة ورضي بالمنزلة التي حَصَلَتْ له غَلَبَهُ الهوى فرده ورآءه، نعوذ بالله من ذلك ونسأله العصمة والتوفيق.

---

(١) في (هـ)خيرًا وإحسانا .

(٢) ربيع الأبرار ١٠٢/٢. وسلوة العارفين ٤٣٥.

(٣) في (هـ) طلب ما بعدها حالة .

(٤) رواه الموفق بالله في سلوة العارفين ص٣٠٧. والديلمي ٣/ ٦١١ رقم ٥٩١٠ مرفوعا إلى الإمام علي وتمامه ومن كان غده شرًا من يومه فهو ملعون ومن لم يكن في الزيادة فهو إلى النقصان ومن كان إلى النقصان فالموت خير له.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (هـ، ص) .

[الإخلاص لله تعالى والانقطاع إليه]

باب الإرادة: اعلم أن الإرادة : هي طلب الانقطاع إلى الله عزوجل من كل ما سواه، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾[المزمل: ٨] قيل في التفسير: اخْلُصْ له إخلاصًا[١]، وقال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾[الذاريات: ٥٠].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: حاكيا[٢] عن الله تعالى "يا ابن آدم تَفَرَّغْ لعبادتي أمْلأْ قلبك غنًى، وأملأْ يديك رزقًا. يا ابن آدم لا تَبَاعَدْ عني فأملأْ قلبك فقرًا، وأملأْ يديك شغلاً "[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: كفى بالعبد أدبًا أن لا يشارك غير الله مع الله في همه.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧] فَبَيَّنَ سبحانه الغرض في خلقهم ليدعوهم إلى الانقطاع إليه والتوفر على عبادته.

وقال الله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر: ٢-٣] والعبد لا يصل إلى الإخلاص إلا بالانقطاع إلى

---

(١) تفسير غريب القرآن للإمام زيد ٣٥٣، ومعاني القرآن للفرآء ٢/ ١٩٨.

(٢) في (هـ، ش)جآءني .

(٣) أخرجه الحاكم عن معفل بن يسار ٤/ ٣٢٦. وقال: صحيح ووافقه الذهبي.

الله؛ لأنه متى لم يكن منقطعًا كان فيه حظ لغيره (ومتى كان فيه حظ لغيره)[١] لم يكن مخلصًا له.

وروي أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنا لنعطي من أموالنا[٢] التمَاسَ الذكر فهل لنا من شي؟ فقال: لا. قال: فإنا ننفق أموالنا التماَس الذكر والأجر فهل لنا من شيء؟ فقال: لا؛ لأن الله لا يقبل إلا ما خلص له، ثم قرأ ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣][٣]. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: "الشِّرْكُ في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفاة السوداء في الليلة الظلماء"[٤]. وقال النبي ﷺ: "أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، واستغفرك مما لا أعلم".

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: "أيها الناس إياكم وشِرْكُ السرائر! قالوا: وما شرك السرائر؟ أَبَعْدَ الإيمان شركٌ؟ فقال: شرك السرائر أن يقوم الرجل فيرائي بصلاته ويُحَسِّنُهَا لمن حوله"[٥].

(١) ما بين القوسين ساقط من (ش، هـ) .

(٢) من (هـ) وساقطة من بقية النسخ .

(٣) أخرجه السيوطي في الدر المنثور عن ابن مردويه ٥ / ٦٠٢. جزءًا منه. وروى النسائي ٦/ ٢٦ رقم ٣١٤٠ عن أبي أمامة قال: جاء رجل إلى النبي فقال: أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر، ماله ؟ فقال: لا شيء له، فأعادها ثلاث مرات يقول له رسول الله: لا شيء له، ثم قال: إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتُغي به وجهه.

(٤) الحاكم ٢ / ٢٩١٣ . والحلية ٩ / ٢٦٤ . ومجمع الزوائد ١٠/ ٢٢٣.

(٥) سلوة العارفين ١٧٢، والبيهقي في السنن ٢/ ٢٩١ ولفظه: يقوم الرجل فيزين صلاته جاهدا لِما يرى مِنْ نَظَرٍ إليه فذاك شرك السرئر. والترغيب والترهيب ١/ ٦٨ عن ابن خزيمة.

وحكي عن الجنيد أنه قال: لايسلم العبد من العُجب ما بقيت عليه رؤية نفسه، ولا من الرياء ما بقيت عليه رؤية الناس. كل ذلك يبين أن الإخلاص لا يتم للعبد إلا بالانقطاع إلى الله عزوجل عما سواه.

وحكي عن رُوَيم بن أحمد[١] أنه قال: طريقنا هذه هو بذل الروح، فإن قدرتَ عليه وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية[٢]. وحكي عن ذي النون المصري[٣] أنه قيل له : بما وصلتَ ؟ قال: ببذل المجهود وترك العلائق[٤].

وهذه وصية للجنيد بن محمد أثبتناها على وجهها لِتَعَلُّقِهَا بغرضنا في هذا الكتاب[٥] ولما فيها من عظيم النفع للمُرِيد. قال أبو القاسم رحمه الله :

اعلم رحمك الله أن الله تعالى يُنزل العبيد حيث نزلت قلوبهم بهمتها، فانظر أين ينزل قلبك؟.

واعلم أنها تقرب القلوب على حسب ما قرب إليها، فانظر مَنْ هو القريب من قلبك؟.

---

(١) ابن يزيد المقرئ كان فقيها مقرئا على مذهب داوود ت ٣٠٣ وقيل ٣٣٠ .تنظر الرسالة القشيرية ٢٥. وصفوة الصفوة ١/ ٢٦٦ .

(٢) صفوة الصفوة ٢/ ٢٦٧ . في الرسالة القشيرية ص٢٢. سألت رويما فقلت: أوصني ، فقال: ما هذا الأمر إلا ببذل الروح فإن أمكنك الدخول فيه مع هذا وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية . حلية الأولياء ١٠/ ٣١٥.

(٣) اسمه ثوبان بن إبراهيم النوبي أبو الفيض. وقيل: الفيض بن إبراهيم، أحد الزهاد العباد، وكان حكيما فصيحا ت ٢٤٥ هـ . حلية الأولياء ٩/ ٣٤٥.تأريخ بغداد ٨/ ٣٩٣ . وصفوة الصفوة ٤/ ٢٢٢.

(٤) في (هـ) قطع العلائق .

(٥) في (ص) بالمنزلة .

واعلم أنه يوصل إلى القلب من (خيره)[١] على ما اتصلت به القلوب من تعظيم أمره، فانظر ماذا يتصل بقلبك؟.

واعلم أنه يقبل على القلوب حسب ما القلوب مقبلة عليه، فانظر ما أنت مقبل بقلبك؟.

واعلم أن الله تعالى يخلص[٢] القلوب من بره على حسب ما تخلص القلوب إليه من ذكره، فانظر ماذا خالصه قلبك؟[٣].

واعلم أن الله يعظم القلوب ويرفعها على حسب ما هي معظمه[٤]؛ فانظر ما الذي يعظم في سرك، ويعلو إليه مرادك؟.

واعلم أن موانع القلوب في الابتداء ما مالت إليه[٥] من أسباب الدنيا، فاعمل على قطع الأسباب تنل بغيتك من الطلب.

واعلم أن قليل ما يبقى منها في السرائر يحول بينك وبين نفيس الذخائر؛ فاعمل في إخراج ما بقي[٦] منها تنل بذلك ما تطلب من خالقها.

واعلم أن القلوب إذا تجردت من الأمور الدنيوية صحت وصفت للأمور[٧] الأخروية؛ فاعمل في ابتداء أمرك على إخراج ذلك من سرك، واحذر أن

---

(١) في (هـ) من أمره.

(٢) في (هـ): يخلص إلى القلوب من أمره على ما تخلص إليه من ذكره.

(٣) ذكر في الحلية ١٠/ ٢٩٧، منها ما لفظه إن الله يخلص إلى القلوب من بره حسبما خلصت القلوب إليه من ذكره، فانظر ماذا خالط قلبك .

(٤) في (ش): ما هي تعظمه.

(٥) في بعض النسخ: عليه.

(٦) في (هـ) ما يتفق .

(٧) في (ص) و (هـ) : للعلوم.

يبقى عليك منها شيء مستبطن، أو دقيق مراد قد كَمَنَ، فيقعد(١) بك ذلك، ويعترض بقدره في صحة المراد، فكن على استقصاء منه، وكن فيها على أحوالك كلها زاهدًا فيصحو عند ذلك عقلك ، ويصفو قلبك.

(**واعلم** أن هذه أول منزلة من منازل المريدين)(٢).

واعلم أنك إن صدقت في إرادتك له صدقك في إرادته لك(٣).

واعلم أن الله تعالى إذا أرادك كفاك وتولاك وأغناك.

واعلم أنك إن كنت لطاعته مؤثرًا كان عليك بمنافعك مقبلاً، وكذلك إذا كنت بعهده(٤) راعيًا و بأمره عاملا كان بالتأييد لك حافظًا، ومِنْ شاهد ذلك في نفسك أنك إذا اعترض لك أمران ميزهما بالعلم؛ فإذا كشف لك التمييز بالعلم عن أفضلهما عملت بالأفضل(٥) ولم ترض لنفسك بالمفضول، فإذا كنت كذلك كنت صادقًا، وكان الله تعالى لهمك رافعًا، فإذا ارتفع همُّك وَقَوِيَ علمك كان ذكر الله تعالى السابق إليك، العاطف بقربه عليك(٦)، ولم تر شيئًا أقرب إليك منه ولا أقرب منك إليه، فإذا خلص لك ما وصفنا - فاعْتَدَلَ واستوى - لم تكن ظاعنا إلا إليه، ولا

---

(١) في (هـ) فيعقبك . وفي (ش) فتصدق.

(٢) مابين القوسين ساقط من (هـ) .

(٣) في (هـ) : واعلم أن هذه أول منزلة من منازل المريدين .

(٤) في بعض النسخ : لعهدك.

(٥) في (ش) ركبت الأفضل وبالأجزل .

(٦) في بعض النسخ: عليك.

نازلاً إلا عليه، والعلم من وراء ما أوصيتك به؛ فاعمل بوصيتي تنل بها من العلم ما وراء ذلك .

تمت وصية الجنيد رحمه الله تعالى.

وقال بعض الحكماء: علامة المريد إذا صدق في عزمه رفض الدنيا إذا كانت شاغلة للقلب ومفترة له عن طاعة الله، وأحواله في الزيادة على حسب الكد والاجتهاد والانكماش والمبادرة وحمل النفس على المكاره، ومفارقة الراحة، ومجانبة الرفاهية؛ (ليصحب من يريد وليتقوى على ما يريد)[1].

[ترك الشبهات والمباحات]

واعلم أن أصلَ هذا الباب وملاكَه وما يدور عليه هو مجانبة الشبهات في ترك ما أمكن تركه من المباحات، وبحسب ما يترك العبد من المباح يكون فوزه بالنجاح، وظفره بالمطلوب، ونيله للمحبوب. وبحسب استغنائه منه وتمتعه به يفتر سيره ويضعف عزمه وإرادته، وتَهِنُ إرادته، ويُنشِبُ العدو فيه أظفاره ومخالبه. فمن عزم على طلب الانقطاع إلى الله عز وجل (واستحقاق اسم المريدين فليوطن نفسه على ترك ما أمكن تركه من المباح، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣] . فكل ما لا يعنيك فهو من اللغو.

---

(١) في (ص)وليصحب ما يريد. وفي (هـ) وليصحب من يريد ما يريد لتزداد قوة إرادته وليستوحش من يريد مالا يريد.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "مِنْ حُسْنِ إسلامِ المرءِ تَرْكُهُ مَالايَعْنِيه"[(١)]
وأصل ترك المباح -الذي لا بد للمريد منه، ولا يستقيم أمره دونه، ولا يستقيم إلا عليه، ولا يملك زمام قلبه إلا به - هو ملازمة الصمت، ومداومة الجوع والعطش، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "من عرف الله تعالى وعظمته) [(٢)]؛ منع فاه من الكلام، وبطنَه من الطعام ، وفرجَه من الحرام.

[ترك الكلام]

وقال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "وهل يكبُّ الناسَ على مَنَاخِرِهِم في النار إلاَّ حصائدُ ألسنتِهم "[(٣)].

وحكي عن داود الطائي أنه كان يدعوه[(٤)] الإنسان فلا يكلمه بل ينكس رأسه إلى أن يؤذن للظهر.

وحكي عن الفضيل بن عياض أنه قال: ليس شيء أشر من رشوة الكلام[(٥)]. وحكي عن فضيل قال: كان عابد في بني إسرائيل يطيل

---

(١) مجمع الزرائد ١٠/ ٢٢٣- ٢٢٤.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ش).

(٣) الترمذي ٥/ ١٣ برقم ٢٦١٦ وقال حسن صحيح، وأحمد ٨/ ٢٤٦ برقم ٢٢١٢٤، وابن ماجه ٢/ ١٣١٤ .

(٤) في (هـ) يدخل عليه .

(٥) في (ص) أشد من فضول الكلام .

الصمت، فقيل له: مالك لا تتكلم ؟ فقال: إن لساني سبع أخاف إن تركته أن يأكلني. وحكي عن فضيل أنه كان يقول: ما حَجٌّ ولا جهاد ولا رباط أشد من حبس اللسان[1]. وحكي أنه قال: تكلمتَ فيما لا يعنيك فَشَغَلَك عما يَعنِيكَ، ولو شغلك ما يعنيك تركت ما لا يعنيك[2].

وعن بعضهم[3]: دَوَاءُ القلب في خمس: قيام الليل، وقرآءة القرآن، وخلوة البطن، وقلة الكلام ، والتضرع عند الصبح. وعن بعضهم: إن الورع في المنطق أشد من ترك الدنيا. وعن حاتم الأصم[4] أنه قال: طهور القلب من خصلتين: دفع فضول الشيء، ومنع[5] فضول الكلام.

وروي أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: اسمع ما أقول فالحق ما أقول : مَنْ حَفِظَ لِسَانَهُ وَغَضَّ بَصَرَه، وصان فرجه ؛ فهو عندي مُقَرَّبٌ مَحْبُوبٌ .

[ترك الطعام]

والجوع وأصله الصوم. وفي حديث زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لَخُلُوفُ فم الصائم أطيبُ ريحًا من المسك عند الله، يقول الله تعالى: "الصوم لي وأنا أجزي

(١) الحلية ٨/ ١٢٢.وتتمته (ولو أصبحت يهمك لسانك أصبحت في غم شديد وسجن اللسان سجن المؤمن وليس أحد أشد غما ممن سجن لسانه) .

(٢) الحلية ٨/ ١١٣ .

(٣) هو يحيى بن معاذ الرازي الواعظ الزاهد المتوفى ٢٥٨هـ. ينظر:صفوة الصفوة ٤/٦٢.

(٤) هو حاتم بن يوسف البلخي حكيم، زاهد له كلام جليل في المواعظ والحكم توفي سنة ١٣٧هـ ينظر سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٨٤. وحلية الأولياء ٨/ ٧٧ .

(٥) في (ص) ووضع .

به"[1].وقال النبي ﷺ: "للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة يوم القيامة، ينادي منادٍ يوم القيامة أين الظامئة أكبادهم؟ وعزتي وجلالي لأروينهم اليوم"[2]. وروي : "الصوم جنة من النار"[3]. وروي : "أطولكم جوعًا أفضلكم عند الله".

وذكر عن بعض الحكماء: "جَوِّعُوا أنفسكم تَقْوَوْا به على عَدُوِّكُم وصلاتِكم". وحكي عن ذي النون المصري: "مَنْ قَوِيَ على بطنه قوي على دينه، ومن لا يعلم أن مضرته من قِبَلِ بطنه فذلك من الأخسرين أعمالاً".

وروي عن الصادق عليه السلام قال: ظهر إبليس ليحيى بن زكرياء عليهما السلام؛ فإذا عليه معاليق فقال له يحيى عليه السلام: ما هذه المعاليق يا إبليس؟ قال: هذه الشهوات التي أصيد بها بني آدم، فقال: هل لي فيها شيء ؟ فقال: ربما شبعتَ فتباطأت عن الصلاة والذكر، فقال يحيى عليه السلام: عليَّ أن لا أملأ بطني من طعام، فقال إبليس: لله عليَّ أن لا أنصح مسلما أبدًا، ثم قال جعفر عليه السلام: (على جعفر وآل جعفر أن لا يملؤوا بطونهم من طعامٍ أبدًا)[4]. وروي أن رجلاً تجشأ عند رسول الله ﷺ فقال: إن أطولكم

---

(١) المجموع ص ٢٠٤. وأبو طالب ص ٢٦٧ في الأمالي لأوفينهم اليوم قال فيؤتى بالصائمين فتوضع لهم الموائد وإنهم ليأكلون والناس يحاسبون .

(٢) المجموع ص ٢٠٣ .

(٣) آمالي أبي طالب ص ٢٧٦ .

(٤) الاعتبار وسلوة العارفين ص١١٤.

شبعًا في الدنيا أكثركم جوعًا في الآخرة"(١) . وروي أن الله تعالى كلم نبيه موسى عليه السلام وكان موسى جائعا أيامًا. وقيل: إن نيار الجوع تشعل نور (٢) القلب، وحُمِلَ على ذلك "الصوم لي وأنا أجزي به".

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "جوعوا بطونكم، وعروا ظهوركم ترون ربكم بقلوبكم". وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "اجْهِدُوا نفوسَكم تفرح بكم سكان السماء، وتفر منكم الشياطين لِمَا يُرى من النور في قلوبكم". وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "أذيبوا طعامكم بذكر الله والصلاة، ولا تناموا عليه فتقسوَ قلوبكم"(٣).

وعن القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليه قال: "لن يملك أحد ضَبْطَ نفسه وفكرته، ويقوى على ما يفوز به في آخرته حتى يقوى على ترك شهوته، ويؤثر محبة الله تعالى على محبته". وحكي عن أبي سليمان الداراني(٤) أنه قال: "لأن أترك من عشائي لقمة أحب إلي من أن أقوم إلى الصباح "(٥) .

---

(١) الترمذي ٤/ ٥٦٠ رقم ٢٤٧٨ .والحاكم ٤/ ١٢١، وقال صحيح ولم يخرجاه

(٢) في (ص) نار .

(٣) المرشد بالله ١/ ٢١١ .والطبراني في الأوسط ٥/ ١٦٣ برقم ٤٩٥٢. والبيهقي في شعب الإيمان ٥/ ١٢٤ برقم ٦٠٤٤ .

(٤) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الداراني نسبة إلى داريا من قرى دمشق ، زاهد، له كلام متين في السياحات الربانية ت ٢٠٥ هـ صفوة الصفوة ٤/ ١٥٣ سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٨٢.

(٥) صفوة الصفوة ٤/ ١٥٤ . وحلية الأولياء ٩/ ٢٨٧ .و ابن عساكر ٣٤/ ١٢٩.

وقال النبي ﷺ لأبي ذر: "أَقِلَّ الكَلاَمَ والأكلَ تَكُنْ معي في الجنة". وقال رجل لابن عمر: اتخذ لك الجوارش؟ قال: وما الجوارش؟ قال: شيء إذا أكلته خفف عليك ثقل الطعام، قال له : ما شبعت منذ أسلمت[1].

وعن سهل بن عبدالله أنه قال: أدنى ما ينال العبد من الشرِّ في الشبع أن يفقد الخشوع في صلاته وسائر عباداته، ويعتاض من الخشوع الفكر في الصلاة في أحوال الدنيا، وأدنى ما ينال به من الخير في أخذ الضرورة من الحلال إدراك الخضوع في تأدية الفرض والعبادة.

[ترك الفضول من كل شيء]

وإنما استكثرنا من الروايات والحكايات الواردة في هذين البابين أعني حفظ اللسان وحفظ البطن[2]؛ لأنهما أصل هذا الباب، وعليهما العمدة والمدار؛ ولأنهما أصعب من غيرهما؛ ونحب له أن يترك فضول النظر، وفضول السمع وفضول الفكر، وفضول سائر الحركات، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

ويستعين على ذلك أن يذكر عند سكوته أن الله تعالى مطلع على سره وضميره، وعند كلامه ونطقه أن الله تعالى يسمع كلامه، وعند أفعاله أن الله تعالى يرى[3] تصرفه وأعماله فيكون ذلك عونًا له على حفظ الجوارح؛

(١) حلية الأولياء ١/ ٣٧٢، بما يوافق ذلك .

(٢) هكذا في الأصل. وظاهر السياق يدل على أن العبارة حفظ الكلام.

(٣) في (ص) يعلم .

فإذا حصل له ذلك كان ممن قال الله تعالى فيهم:﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ ، ثم قال في آخر الآية: ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ [التوبة: ١١١] ولا يكون باع نفسه وماله إلا إذا سلك الطريقة التي بيناها في جوارحه وقلبه وماله.

ويستعين على ذلك كله بقطع العلائق ورفض أسباب الدنيا ما أمكن، فإن العلائق هي الشاغلة للعبد عن غرضه في هذا الباب، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [التوبة:٧٨]، وقال:﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، وقال: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]، وقال تعالى ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤].

وحكي عن داود الطائي أنه قيل له: ألا تنظر؟ هذا فلان فقال: كانوا يكرهون فضول النظر. وحكي أنه قرع عليه الباب ففتح وأخرج رِجْلاً من الحجرة وأبقى رِجْلاً وقال: وكانوا يكرهون فضول المشي، وحكي أن بيته كان حارًا فقيل له: لو خرجت إلى ظل البيت لتجلس فيه ؟[1] فقال هذه خُطىً لا أدري ما هي؟ وحكى أنه ربما وقع الذباب على وجهه فلا يَطِيِّرُهُ حتى يجرح في وجهه، وقيل له: لو سرَّحت لحيتك ؟ فقال : إني إذًا الفارغ .

(١) في (ص) فجلست فيه .

[الخلوة]

ويستعين على ما قدمنا ذكره من ضبط هذه الجوارح بالخلوة والانقطاع عن الناس والفرار منهم إلامن كان منهم على هذا منهجه وطريقته، وكان طالبًا لما يطلب، ومريدًا لما يريد، فعند ذلك تحصل له منزلة المريدين جعلنا الله منهم.

[الفتور الذي يعرض للمريد]

واعلم علَّمك الله الخير أن المريد ربما يَعْرِضُ له فُتُورٌ قوي، واضطراب شديد حتى ينتشر همه بعد أن كان مجموعًا، ويشرُد فِكْرُه بعد أن كان مزمومًا، وحتى يظن أن قلبه قد صار أعلاه أسفله، فيضيق صدره، ويكاد يفسد عليه أمره. وقد يكون ذلك بسبب ظاهر وقد يكون من غير (سبب فلا يجب أن يرتاع عند ذلك ارتياعًا يزيد في اضطرابه ويوهمه)[1] مفارقة حاله، بل يجب أن يفرَّ[2] إلى الله، ويستغيث به، ويستنزل المعونة من عنده، ويداوم[3] على ذلك. فإن لم يجد للاستغاثة الحلاوة[4] التي كان يجدها من قبل لم ييأس من عوده إلى حالته، واستمر على البكاء والتضرع إلى الله تعالى، ومسألته كَشْفَ ما به ، ويفزع إلى تنبيه القلب بقراءة القرآن بصوت شجي، أو استماعه من غيره، ولينظر إلى حكايات المتقدمين ومواعظهم ، ويستعين على ذلك بمذاكرة من يكون منهم في زمانه ،

(١) ما بين القوسين ساقط من (ش) .

(٢) في بقية النسخ: وينبغي .

(٣) في (ش) ويدفع على .

(٤) سقطت من (ش) الحلاوة.

ومجالستهم واستماع كلامهم وتأمُّل أحوالهم ، فإن كثر ذلك ودام حتى يغلبه الوسواس استعمل ما ذكرنا في باب ما يستعان به على التوبة، واجتهد في تحصيل الخوف، وذكَّر نفسه بآلآء الله عزوجل ونعمائه فإن ذلك مما يقوي قلبه ويخنس[1] عنه الشيطان.

واعلم أن ما كان من ذلك بغير سبب معلوم كان دفعه[2] أسهل، وانحسامه أيسر، وعود العبد إلى حالته الأولى أقرب، وما كان من ذلك لسبب ظاهر يعرفه المريد من نفسه؛ فإنه يحتاج أن يعمل لإزالة ذلك السبب ودفعه، ويستعين بالله عزوجل على ذلك فإنه خير معين، ويكون بقاء[3] هذا العارض وقوته بحسب قوة السبب الموجب له وبحسب بقائه، ومتى انحسم ذلك وجد المريد له روحًا في الحال، وانشرح صدره انشراحًا عجيبًا، وعاد إلى حالته الأولى، وكان سبيله سبيل[4] المشرفي يخرج من الصقال؛ فليكن المريد متنبهًا على ما وصفناه ويستعمل ما ذكرناه فإن الله تعالى بلطفه وفضله يغني من اتقاه، ولا يخيب رجاء من ارتجاه ، وليكن دأبه ومعظم همه عند اعتراض هذا العارض التمسك بفعل الواجبات، والتنكب عن المحظورات وإن اختلت عليه النوافل والمجاهدة.

[من مكائد الشيطان]

---

(١) في (هـ ،ش) ويحبس .

(٢) في (هـ) رفعه .

(٣) في (ش) تعاهد هذا العارض .

(٤) في (هـ) وكان سبيل قلبه سبيل المشرفي.

واعلم علمك الله الخير أن للشيطان كيدين يقطع المريد بكل واحد منهما عن سيره وقصده، ويرده عن طريقه ونهجه، ولكل واحد من الكيدين تفاصيل نحن نذكر جملة[1] ليعرفها المريد ويحذر منها [2]كل الحذر:

فأول الكيدين القاطعين له عن غرضه: أن يدعوه إلى القُرَبِ التي هي النوافل، وهي له في الحقيقة قواطع وشواغل، وذلك نحو أن يدعوه إلى تحصيل المال ويوهمه أنه يَسُدُّ خَلَّةَ أهل الفقر والمسكنة، ويعود به على الأيتام والأرامل، ويصلح الجسور والقناطر، ويبني به المساجد، ويستعين به على الحج والغزو ، فإذا سَوَّلَ له ذلك – زين له الشُّحَّ، وشغله بالجمع حتى يعود تاجرًا إن كان من التجار، أوبانيا إن كان من أهل البناية [3]، أو عامل سلطان إن كان من العمال، فإذا شغله بذلك حال بينه وبين همه، وصرفه عن طريق المجاهدة، ثم يوشك أن يغلبه الهوى ويرده على عقبيه.

وربما دعاه إلى الاشتغال بجمع العلوم، وأوهمه[4] أن يقمع به الملحد، ويهدي به المسترشد، ويستنقذ به الضُلَّال (من الضلالة)، والجهال (من الجهالة) [5]، فيتخلط بالعلماء والمتكلمين[6] وأكثرهم مائلون[7] إلى الدنيا –

---

(١) في (هـ) نحن نذكر جملها ليعرفها المريد .
(٢) في (هـ) منهما .
(٣) في (هـ) أو نائبا إن كان من أهل النيابة .
(٤) في (ص) يوهمه .
(٥) سقط من (هـ، ش) الضلالة والجهالة .
(٦) في (هـ) والمتعلمين.
(٧) في (ش) وأكثرهم من يكون إلى الدنيا خاصة .

خاصة في زماننا هذا - فيتخلق[1] بأخلاقهم، ويتحلى بحليتهم؛ فيدخل معهم في المنافسة وطلب الرئاسة، وقد روي أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: "يا داود لا تجعل بيني وبينك عالمًا مفتونًا بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي، أولئك قُطَّاع[2] طريق عبادي المريدين ، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم"[3]؛ فيعادي على ذلك ويوالي، ويشتغل[4] بذلك قلبه، ويهيج فكره، وينسى طريقه ، ويهجر ما كان آثره؛ فيتمكن منه الهوى والشيطان ، فيدحض قدمه ، ويزيله عن سواء السبيل.

وربما دعاه إلى السعي في مصالح الناس والتحرك[5] لمنافعهم؛ فيدعوه ذلك إلى مخالطة الكبراء، وملازمة الرؤساء ، ومداخلة الملوك، وحواشي الملوك حتى يجالسهم[6] ويأنس بهم ويأنسوا به، فيفارق ما كان فيه، ويضيع ما كان يطلبه، وينتخبه، ويغلب الهوى عقله، ويجره الشيطان إلى استهوائه جَرًّا لائحا، وطريقًا واضحا .

وهذه الجمل أكثر ما تعرض للمبتدئين منهم، والذين لم يألفوا حلاوة مقصدهم، و لم يأنسوا بمطلبهم، وإن كان الجميع منها على خطر.

---

(١) في (ش) فيتجلوا.

(٢) في (ش) فذلك قاطع .

(٣) الاعتبار وسلوة العارفين ص١١٤، وشعب الإيمان ٢/ ٣٠٢. الزهد بما يوافق ذلك ٢٠٢، ٢٠٥.

(٤) في (ص) ويشغل.

(٥) في (ص ، هـ) التحري .

(٦) في (ش): يلابسهم.

القاطع الثاني: هو أن يفتره الشيطان عن اجتهاده، وحَمْلِه النفس على المكاره في معاملته بأن يورد عليه آفات[1] ما يتعاطاه وعيوبه كالعجب والرياء وما يجرى مجراهما، ويوهمه أن اجتهاده ضائع ، وربما أوهمه أن الضرر عليه في الاجتهاد أعظم من الضرر في تركه ؛ لأنه إذا تركه سلم من الرياء والعجب، وإذا أخذ نفسه به لم يسلم منهما، فيُضعِفَ ذلك نيته[2]، ويوهن عزمه ونيته فيفتر عنه، ومتى فتر غلب هواه عقله ورده على عقبه خائبًا بائسا ، ولم يزل حتى يسلخه من الارادة، ويخرجه من جملة أهلها، وهذا الثاني أكثر ما يعرض لمن يخالط أهل التصوف من الإشارات[3]والعبارات، فليحذر المريد جميع ذلك كل الحذر، وليدفع بجهده ما يجد من ذلك في خاطره وهمه، ولْيَستَغِثْ بالله عزوجل إنه خير مغيث.

وربما أوهمه العدو أن الاجتهاد والطلب لا يظفران بالمطلوب، ولا يوصلان إلى المقصود، وأن الوصول عطية يعطيها الله من يشاء؛ وإن الطلب ربما كان حجابًا بين العبد وبين ربه؛ لأن العبد إذا نظر إلى الطلب وسكن إليه كان ذلك سببًا لقطع الطريق؛ فيذهله بذلك عن المجاهدة، ويورثه فتورًا عظيمًا يقطعه بذلك، وهذا أيضًا إنما يعرض في الأكثر لمن يعاشر أهل التصوف على ما بينا.

واعلم أن الوصول وإن كان عطية من الله وتفضلاً؛ فلا بد من الطلب والاجتهاد وبذل الطاقة في تحصيل الغرض، وهكذا وَعَد الله تعالى فقال:

---

(١) في (ش) من الآقات.

(٢) في (هـ) مشيه وفي (ش) بنيته .

(٣) في (هـ) من أهل الاشارات .

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فلا يغتر المريد بهذه المكيدة فإنه لا يأمن أن يصرعه بها العدو صرعة لا نهوض بعدها[١] عصمنا الله من ذلك.

وحكي عن بعض العلماء –وأظنه عن الجنيد رحمه الله – أن في سير المريد ألف قاطع يقطعه، كل واحد منها يحول بينه وبين مطلوبه، فليحذر المريد هذه القواطع كل الحذر، وليكن في جميع أحواله مستعينًا بالله عزوجل لاجئًا إليه، خاضعًا بين يديه، متبرئا من حوله وقوته، مستعصمًا بحول الله وقوته، وليعلم المريد أن الآفات وإن كانت كثيرة جمة فليس يجوز ترك الاجتهاد ليسلم من الآفات، (بل يجب أن يجتهد في دفع الآفات مع المقام على المجاهدة لِمَا يزيد في قوة الآفات)[٢]؛ لأن الآفات مصدرها[٣] قوة النفس والهوى (والاجتهاد كلما قلَّ ازدادت قوة النفس والهوى) [٤] وبحسب ازدياد قوتهما تزداد الآفات، فَلْيَتَصَوَّرْ المريدُ ما بيناه كل التصور وليتدبر حق التدبر .

وحكي عن بعض الحكماء أنه قال: لأن أجتهد مرائيا أحب إليَّ من أن أترك الاجتهاد إخلاصًا، وقد وُفِّقَ فيما قال؛ لأن الاجتهاد وإن شابه الرياء فإنه يؤديه إلى الإخلاص، وترك الاجتهاد وإن أوهمه العدو أنه عين

---

(١) في (هـ) نهوض معها، وفي (ص) لا ينهض بعدها .

(٢) ما بين القوسين من (ص). ومعناه ليس ترك الاجتهاد يمنع من الافات التي تعرض في الاجتهاد. هامش في (ص) .

(٣) في (ص) مصدرها للمريد عن قوة النفس.

(٤) ما بين القوسين من (ص).

الإخلاص[١] فإنه يؤديه إلى الرياء؛ لأن الرياء يكون عن الهوى، وبترك الاجتهاد يقوى الهوى، (والإخلاص يكون عن اعتزال الهوى، وبالاجتهاد يضعف الهوى وينخذل)[٢]، وسنفرد إن شاء الله تعالى لذكر الآفات بابًا في كتابنا هذا بعون الله وحسن توفيقه.

[غاية المريد]

واعلم أن الإرادة منازل ومقامات، وغايتها أن يَحْصُلَ للمريد مقام العبيد[٣] عن التحقيق، وأن يَسِمَ نفسه بسمتهم وهو مقام التسليم[٤] فلا يأتي ولا يذر ولا يتحرك ولا يسكن إلا بأمر الله عزوجل ورضاه، ثم تكون بعد ذلك أحوال العارفين ومقاماتهم، وليس ذلك من غرض كتابنا هذا؛ لأن كتابنا هذا مقصور على ذكر منازل المريدين وكيفية سيرهم وقصدهم وذكر القواطع لهم.

[أعظم موانع القرب مخالفة الشرع]

ومن القواطع العظيمة للمريد أن يوهمه العدو (العلو)[٥] والزيادة، وملابسة أمور مضادة للشرع، منافية له، مجانبة لسبيله: كسماع الغناء، وكالرقص، وكالاشتغال بالنَّردِ وسائر الملاهي[٦]، والاخلال بالواجبات

(١) في (ص) من الإخلاص .
(٢) ما بين القوسين ساقط من (ص) .
(٣) في (هـ) معالم العبيد.
(٤) في (ص) مقام الأمر.
(٥) سقط من (هـ، ص)العلو.
(٦) في (هـ، ش) بالنرد والملاهي.

حتى إنه يؤديه[١] إلى ترك الصلوات المفروضات، ويوهمه أن ذلك[٢] حالة شريفة تنبه بها وفاز بمرتبتها[٣]، ولقد رأيت شيخًا مُسِنًا من جهلة الصوفية كان يتأسف على أعوام مرت به لم يُصَلِّ فيها، وكان يظن أن ذلك؛ لانكشاف الغطاء بينه وبين الله تعالى، نعوذ بالله من هذا الجهل العظيم، فليحذر المريد هذه الحالة، فإنها ليست تقتصر به على الإخلال بالإرادة، أو بمنزلة التوبة فقط بل تجعله منسلخًا عن الدين والإسلام، وربما أوجب الحكم بالردة.

وليعلم المريد أن المجاهدة وطلب الزيادة كلها تكون بخصال الشرع، وإنّ كل ما خالف الشرع فهو باطل مضمحل، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١] فلا حقَّ يُطْلَبُ إلا مع متابعة النبي ﷺ ومتابعة سنته وشريعته، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى

(١) في (ص) ربما يؤديه .
(٢) في (ش) تلك .
(٣) في (هـ) برتبتها، وفي (ش) بمنيتها.

مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال علي عليه السلام في خطبته المعروفة بالزهراء: وأحبُّ العباد إلى الله تعالى الـمُتَأسِّي بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (ومَن اقْتَصَّ غيرَ أثَرِه فلا يأمَنَنَّ هَلَكَةَ نفسه)[١]، وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الاحزاب: ٤٥- ٤٦].

وحكي عن الجنيد رحمه الله تعالى: أن أبا الحسين النوري[٢] رحمه الله تعالى استولت عليه حالة من أحوال الجِنَّة[٣]. فقال أبو القاسم جنيد: كيف تَمُرُّ عليه أوقات صلاته[٤]؟ فقيل له: إنها محفوظة عليه، فقال: الحمد لله الذي لم يجعل للشيطان سبيلا[٥] على هذه الطائفة.

وحكي عن بعض الحكماء أنه قال: عارِضْ ما خطر لك على ما أوحى الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فإن استوى معه فأمضه وإن لم يستو فاطرحه.

---

(١) في (ص) ومن اقتصر على أمره وإلا فلا يأمن الهلكة. وفي النهج ما يوافق ذلك ص٣٨٤ رقم ١٥٨.

(٢) أحمد بن محمد الخراساني، زاهد من أقران الجنيد كان مذكورا بكثرة الاجتهاد وحسن العبادة توفي ٢٤٥ هـ .تأريخ بغداد ٥/ ١٣٠.

(٣) في (هـ) من خصال الخيرة، وفي (ص) من أحوال الحيرة .

(٤) سقط من (هـ ،ص) عليه ، وفي (ص) أوقات صلاتك .

(٥) في (ص) لم يجعل للشيطان عليه سبيلا.

وفي المتصوفة طائفة يسمون أنفسهم أصحاب الملامة[١]، ويزعمون أنهم يلابسون ما يلابسون من الأحوال القبيحة والأفعال الذميمة على سبيل الاقتصار لأنفسهم والملامة لها، فينحطون على منزلة التوبة، وربما عادوا فساقًا فجارًا ليس معهم من شعار الصالحين إلا لبس المرقعات وتنفس الصعداء، فنعوذ بالله من ذلك.

فليتنبه المريد عند اعتراض هذه العوارض، ولا يغتر بها ولا بأهلها، فلا يجعل في نفسه أن يخل بطريقة الاجتهاد، ومتابعة الشرع.

[عدم الوقوف عند مقام من المقامات]

فإذا استمر له[٢] السير ، ولاح له[٣] القصد، ووضح له الطريق؛ لم يقف عند مقامة من المقامات بل يطلب ما فوقه، وينتجع ما وراءه، ولم يرض من نفسه[٤] حالة من الأحوال. وحكي عن مالك بن دينار أنه قال: ما رضيت عن نفسي ساعة لله قط.

[مناهج المريدين]

واعلم أن المريدين إذا حصلت لهم الأحوال التي ذكرناها، وتمهدت لهم الطريق[٥] التي نعتناها[١] تختلف مناهجهم: فمنهم من يميل إلى العبادة (ويقف

(١) أصحاب أبي صالح حمدون بن أحمد القصار. ت ٢٧١ هـ. الموسوعة الميسرة ص٣٤٩.

(٢) في (ص) استتم السير. وفي (هـ ،ش) استمر به

(٣) في (ش) فلاح.

(٤) في (هـ ، ش)لنفسه.

(٥) في (ص) الطرائق .

عليها)[٢] ومنهم من يميل إلى الزهد والتخلي من الدنيا وقطع العلائق، **ومنهم** من جنح[٣] إلى المراقبة وحفظ القلب، **وقليل منهم** مالوا إلى السياحة، وكل ذلك محمود، **ومنهم** من حاول الجمع بين جميع ذلك، **ومنهم** من حاول الجمع بين الاثنين من ذلك أو الثلاثة[٤]، مثل أمير المؤمنين عليه السلام فإنه جمع بين العبادة والزهد والجهاد والعلم والمراقبة، وكل ذلك من مناهج الأخيار، ومدارج[٥] الأبرار، جمع الله بيننا وبينهم في مستقر رحمته ودار كرامته (بمنه وفضله)[٦].

[الاجتهاد في العبادة]

باب العبادات

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٧]، وقال: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس:٦٠-٦١]، وقال

(١) في (ص) بيناها .
(٢) ي (ص) والتوقف عليها.
(٣) في (هـ ،ش) يجنح .
(٤) في (ص) اثنين أو ثلاثة .
(٥) في (هـ) مدائح .
(٦) ما بين القوسين ساقط من (هـ) .

تعالى: ﴿يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا﴾ [النور: ٥٥]، وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى حتى تَورَّمَتْ قدماه قالوا له: يارسول الله أليس الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أفلا أكون عبدا شكورا)(1).

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى حتى تورمت قدماه، فأنزل الله تعالى: ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ١-٣]. وروي أن عليّا عليه السلام: كان يصلي من الليل فيقوم بالآية والآيتين والسورة والسورتين من أول الليل إلى آخره، وروي أنه كان يُحيي الليل(2) بالآية الواحدة يرددها. (وروي أن عليّا عليه السلام كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة(3)، وروي عن خلق من الصحابة رحمهم

(١) أخرجه البخاري ١/ رقم ١٠٧٨، ومسلم ٤/ ٢١٧٢ برقم ٢٨١٩، النسائي ١/ ٢١٨ برقم ١٦٤٣، والشمائل للترمذي ١٦٠ .

(٢) في (ص) الليلة.

(٣) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١/ ٤٣ عن الإمام علي عليه السلام: وأما العبادة فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوما، ومنه تعلم الناس صلاة الليل، وملازمة الأوراد وقيام النافلة، وما ظنك برجل بلغ من محافظته على ورده أن يُبْسَط له نِطْعٌ بين الصفين ليلة الهرير، فيصلي عليه ورده والسهام تقع بين يديه، وتمر على صماخيه يمينا وشمالا فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته! وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير؛ لطول سجوده، وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله، وما يتضمنه من الخضوع لهيبته والخشوع لعزته والاستخذاء له، عرفت ما ينطوي عليه من الاخلاص، وفهمت من أي قلب خرجت وعلى أي لسان جرت. وقيل

الله تعالى العبادات الكثيرة تركنا ذكرها لئلا يطول الكتاب)[1] وروي عن علي بن الحسين عليه السلام أنه كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، وكان أكثَر أهل البيت عليهم السلام عبادةً بعد علي عليه السلام؛ ولذلك سُمِّي سيدَ العابدين وزينَ العابدين ، وكان يسمى ذا الثَّفَنَاتِ ظهرت بجبهته وركبته من كثرة السجود[2].

وروي عن سعيد بن المسيب[3] أنه قال: دخلت على علي بن الحسين عليه السلام عند طلوع الشمس وهو قائم يصلي كأنه ساق شجرة قد ثَفِنَتْ جبهته ، وانخرم أنفه من السجود، وذلك في حديث طويل، وفيه أن سعيدًا قال له: ما هذا الاجتهاد وأنت من الله عزوجل ومن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالمنزلة التي أنت فيها ؟ فقال: يا سعيد ما ترك جدي صلوات الله عليه الاجتهادَ وقد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وما يَدْرِيْ علي بن الحسين يصير إلى جنة أم إلى نار؟ وفي الحديث أنه قطع كلامه فسجد فلم يزل ساجدًا إلى أن زالت الشمس فرفع رأسه وقد اسودَّ وجهه من الدم وأثر الدموع على خده صلوات الله عليه .

لعلي بن الحسين عليه السلام وكان الغاية في العبادة، أين عبادتك من عبادة جدك ؟ قال: عبادتي عند عبادة جدي كعبادة جدي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) ما بين القوسين ساقط من (ص) .

(٢) الثَّفِنَةُ: ركبة البعير. وما مس الأرض من صدره وأصول أفخاذه. القاموس ١٥٥٧/٢.

(٣) سيد التابعين كان زاهدا ورعا فقيها ومحدثا. توفي ٤٩ هـ . سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٧.

وروي عن طاووس(١) أنه قال: نهضت أنا وسعيد بن المسيب في بضع وثلاثين من القُرَّاء إلى علي بن الحسين عليه السلام، فإذا نحن به ساجدا في الحِجْرِ عند الميزاب، فلم نزل قيامًا وقعودًا(٢) حتى رفع رأسه من السجود فقال له الوضين بن عطاء(٣) : يا علي بن الحسين والله لو لم تخلق النار إلا لك، و لم يعصِ اللهَ على وجه الأرض سواك ما زاد على ما صنعت بنفسك، وقد ثفنت جبهتك، وانخرم أنفك من السجود، وقد ثفنت ركبتاك وراحتك وعقبك، وكأنك شيء بال، أو سنبلة تميلها الرياح، أشهد يا علي بن الحسين أنك ممن يتشفع بك إلى الله تعالى يوم القيامة، فقال له علي بن الحسين: يا وضين بن عطاء قد قَبُحَتْ بهجةُ الدنيا في عيني، وذقت حلاوها فوجدها مُرَّةً، واستوى عندي رطبها ويابسها، وذهبها وفضتها، وكأني أنظر إلى عرش ربي(٤)، وأهل الجنة في الجنة كيف يتنعمون، وأهل النار في النار كيف يعذبون، فأسهرتُ ليلي وأظمأتُ نهاري، وقليل مَا أنا فيه في جنب ثواب الله ربي وخوف عقابه.
وروي أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أن يسأل له المغفرة، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أعِنِّي بِكَثرة السُّجودِ(٥). وروي: أقربُ ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد(٦).

---

(١) بن كيسان الفارسي من أهل اليمن، حافظ عابد زاهد . توفي سنة ١٠٦ هـ سير أعلام النبلاء ٥/٣٨.
(٢) في (ش) فلم يزل قائما وقاعدا .
(٣) بن كنانة الخزاعي محدثا وصاحب منطق. ت ١٤٩هـ . تأريخ بغداد ١٣/ ٥١٤.
(٤) في (ش ،هـ) أرى عرش .
(٥) رواه أحمد بما يوافق ذلك ٥/ ٤٣٩ رقم ١٦٠٧٦ في رجل سأله الشفاعة يوم القيامة.
(٦) مسلم ١/ ٣٥٠، وأبو داود ١/ ٥٤٥ رقم ٨٧٥، والنسائي ٢/ ٢٢٦ وغيرهم.

وروي عن بعضهم قال: حضرت وفاة أبي القاسم الجنيد فلم يزل ساجدًا فقلت له: يا أبا القاسم ألست قد بلغت هذا المكان وبلغ منك ماأرى من الجهد! لو استرحت، فقال: أحوج ما كنت إليه الساعة، و لم يزل ساجدًا حتى فارق الدنيا(١) .

وحكي أن مسروق بن الأجدع(٢) كان لا يوجد إلا وساقاه قد انتفخا من طول الصلاة. وروي عن ابن سيرين (٣) أنه قال: قرأ تميم الدَّاري(٤) القرآن في ركعة(٥). وروي عن عاصم(٦) أنه قال: رأيت أقوامًا يتخذون هذا الليل جَمَلاً يعني لا ينامون(٧): منهم زِرُّ بن حُبَيْشٍ(٨) وأبو وائل(٩) .

وعن ثابت البُناني(١٠) أنه قال: ما رأيت أحدًا أصبر على طول القيام والسهر من يزيد الرقاشي (١). وحكي عن يزيد الرِّقاشي، قال: إذا نِمْتُ

(١) ذكر في شذرات الذهب ٣/ ٤١٧، والبداية والنهاية ٣/ ٤١٧ . بما يوافق ذلك.

(٢) صفوة الصفوة ٣/ ١٤وأعلام النبلاء ٤/ ٦٦ زاهد محدث من اليمن، توفي ٦٣ هـ.

(٣) محمد بن سيرين أبو بكر الأنصاري، فقيه ورع زاهد، ت ١١٠هـ . أعلام النبلاء ٤/ ٦٠٦.

(٤) وفد على رسول ﷺ سنة ٩ فأسلم .كان عابدا تاليا لكتاب الله ت ٤٠هـ .أعلام النبلاء ٢/ ٤٤٢ .

(٥) ابن عساكر ١١/ ٧٥.

(٦) ابن أبي النجود الكوفي الأسدي مقرئ محدث عابد نحوي توفي ١٢٨هـ أعلام النبلاء ٥/ ٢٥٦ .

(٧) ابن عساكر ١٩/ ٢٩ .

(٨) زر بن حبيش الأسدي مقرئ ومحدث من أهل الكوفة توفي سنة ٨٢هـ. ابن عساكر ١٩/ ١٨.

(٩) شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي أدرك النبي ﷺ وما رآه، محدث توفي ٨٢ هـ .سير أعلام النبلاء ٤/ ١٦١.

(١٠) ثابت البناني محدث عابد ت ١٢٧هـ وقيل غير ذلك . سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٢٠.

فاستيقظتُ ثم أردتُ أن أعود فلا أنام الله عيني[٢]. وحكي عن سهل بن عبدالله[٣] أنه سئل عن أكل الخبز أو شربه أيهما أفضل؟ فقال: شربه لمن لابد له من كثرة الأكل؛ لأن بين المضغ للخبز إلى شربه قراءة خمسين آية من كتاب الله تعالى.

وروي أن مالك بن دينار[٤]، وأيوب السختياني[٥] دخلا على امرأة عابدة فإذا هي قائمة تصلي فجلسا فأسرعت في صلاتها ثم التفتت إليهما فقالت: ما حاجتكما؟ فقالا: جئنا زائرَينِ مُسَلِّمَين، فقالت: قد خلصتما فقوما عني لا تشغلاني عن عبادة ربي فإني أُبَادرُ طَيَّ صحيفتي، فسئل عنها، فقيل: هذه مليكة بنت محمد ابن المنكدر بلغت مبالغها[٦].

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين.

---

(١) صفوة الصفوة ١٦٧/١وهو أبو عمر من زهاد البصرة البكائين العباد، توفي فيما بين ١١٠- ١٢٠هـ كما في تهذيب التهذيب ٢٦٩/١١ ، تهذيب الكمال ٦٤/٣٢.

(٢) تهذيب الكمال ٧٠/٣٢

(٣) سهل بن عبدالله بن يونس التّستري: من زهاد الصوفية المحدثين ، له كلمات نافعة ومواعظ حسنة توفي سنة٢٨٣ هـ أعلام النبلاء ٣٣٣/١٣ ،وحلية الأولياء ١٩٨/١٠.

(٤) عالم محدث زاهد. ت ١٢٧هـ . سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٦٢ .

(٥) ابن أبي تميمة كيسان العنزي ولد سنة ٦٨ هـ تابعي من الحفاظ العباد الزهاد. ت. سنة ١٣١ هـ بالبصرة .أعلام النبلاء ١٥/٦، طبقات بن سعد ٢٤٦/٦ .

(٦) عابدة مجتهد. كَلَمَتْ في الرفق بنفسها فقالت: دعوني أبادر طي صحيفتي. ت ١٣٦هـ، وصفوة الصفوة ١١٨/٢، والمنتظم ٣٥٧/٧ .

سياسة المريدين . تأليف: الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني الحسني ت: (٤١١)
تحقيق: عبد الله إسماعيل هاشم الشريف. مراجعة الدكتور: المرتضى بن زيد المحطوري الحسني
الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م مكتبة مركز بدر للطباعة والنشر والتوزيع
www.almahatwary.org